الجمهـوريــة الجـزائــريــة الديمقـراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherché scientifique
Université 8 Mai 1945 – Guelma
Faculté : des lettres et des langues
Département de la Langue et Lettrérature Arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لنيــل شهــادة الماستر

تخصص: لسانيات تطبيقية

الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجمه "العين" دراسة صوتية و معجمية

إعداد الطالبة:
صفاء طاوطاو

إشراف الأستاذ:
د. الطاهر نعيجة

تاريخ المناقشة: .. / .. / 2022

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسسة الإنتماء	الصفة
د. دلال عودة	أستاذ محاضر -ب-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
د. نعيجة الطاهر	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
د. جودي عبد الرحمان	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/ 2022

الإهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على الحليم المصطفى:

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد والنجاح

أهديها إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

وإخوتي "عبد الرحمان، عبد الباري ومروة"

وكل من ساندني من قريب أو من بعيد

مقدمة

عرفت العربية في تاريخها الطويل جهودًا كثيرة اجتمع على رصدها علماء هذه اللغة منذ القرون الأولى، من خلال استنباطهم للمنظومة الكلية وتحديدهم لفروع الدراسة وتصنيفهم لعلوم اللغة، فقد مثل الخليل باسهاماته العلمية الجليلة وأنظاره الرائدة في العلوم العربية حلقة رئيسة من حلقات المعرفة، مما أفضى إلى أن تعده أستاذا ومؤسسا ترك موروثا ثقافيا خالدا.

يعدّ معجم العين للخليل باكورة التأليف المعجمي، وكنزا من كنوز العربية، جمع علما عزيزًا وفضلا عظيمًا، ولأجل ذلك اكتسب شهرة واسعة في تراثنا العربي لما في طياته من معارف علمية، أصبحت حقلا خصبا يغذي مخيلة الأدباء والشعراء واللغويين والعروضيين.

من أجل التعرف أكثر على معجم العين وعلى طبيعة التأليف المعجمي في اللغة العربية جاء اختياري على هذا البحث المعنون بـ "الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجمه العين دراسة صوتية ومعجمية"، رغبة مني في اكتشاف أسراره مما آثر في نفسي مجموعة من التساؤلات منها:

ما هي الأبعاد اللسانية التي يمكن أن نلتمسها في معجم العين؟ وما هي طرق ترتيبه؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعت خطة منهجية مكونة من مقدمة يليها مدخل قمت فيه بالتعريف بالخليل وذكر أهم أعماله ومؤلفاته، إضافة إلى جهده في وضع علم العروض ومكانته في النحو العربي، ثم قسمت البحث بعده إلى فصلين: الفصل الأول المعنون بالدرس المعجمي عند الخليل ويتكون من 4 مباحث: المبحث الأول معنون بالمعجم العربي وتحدثت فيه عن تعريف المعجم لغة واصطلاحا والإرهاصات الأولى في نشأة المعجم عند العرب وعوامل نشأته، أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن منهج معجم العين وكيفية الجمع فيه مع التطرق إلى مقدمته، وعرجت في المبحث الثالث للحديث عن منزلة العين وأخيرا المبحث الرابع تحدثت فيه عن الاختلاف في نسبة هذا المعجم للخليل وتأثير هذا المعجم وتأثره.

أما فيما يخص الفصل الثاني المعنون بالجانب الموسيقي عند الخليل، فتناولت فيه ثلاث مباحث: الأول تحدثت فيه عن الجانب الصوتي وتطرقت إلى ترتيب الحروف حسب المخارج وصفاتها، أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن العروض وقدمت بعض النماذج التطبيقية، أما المبحث الثالث فقد تحدثت فيه عن الأبعاد اللسانية لمعجم العين.

وختمت بحثي هذا بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث ،أما المنهج الذي اتبعته في دراستي هو المنهج الوصفي الذي يتناسب مع هذا النوع من الدراسات، وأما الدافع لاختيار هذا الموضوع هو:

– إفادة الباحثين والمهتمين في مجال المعاجم.

– إشباع رغبتي الذاتية وميولي لمثل هذه الدراسة، ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أخوض في أعماق التراث اللغوي الزاخر لاستنطاقه واستجلاء معالمه الموضوعية والعلمية.

وأما عن أهمية الموضوع فتتمثل في كون "العين" أول معجم عربي أضاف للغة رصيدًا هائلًا من المفردات إضافة إلى عبقرية الخليل الفذّة في ترتيب الألفاظ وابتكاره علمًا جديدًا.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فنجد دراسة يمينة مصطفاوي في أطروحتها اهتمت بمراحل التأليف المعجمي وتشكل بناء المعجم العربي، أما عن الصعوبات التي واجهتني فتتعلق بجمع المادة المعرفية فرغم وجودها وزخمها احترت في كيفية الجمع.

واعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، وعلم اللغة عند العرب لشرف الدين الراجحي، والمزهر للسيوطي.

وفي الأخير وليس آخرا أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل "الطاهر نعيجة" الذي كان نعم الموجه وباب الأمل الذي طرقته، فلك أستاذ فائق الشكر والاحترام والتقدير وجزاك الله خيرًا.

مدخل

ترجمة للخليل بن أحمد

وجوانب شخصيته العلمية

أولا: شخصية الخليل بن أحمد وأهم مؤلفاته:

أ- التعريف بالخليل:

هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد في عمان عام 100هـ وتوفي عام 175هـ، كان أحد أئمة اللغة والنحو والأدب في العصر العباسي الأول، وهو أوّل من استخرج علم العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، له تصانيف عديدة أهمها كتاب "العين" وهومعجم في اللغة رتبه حسب مخارج الأصوات وسمّاه باسم الحرف الأول منه، قال المؤرخون عن الخليل: "إنه كان آية في الذكاء، جمع بين الورع والشجاعة فكان يحجّ سنة ويغزو أخرى، وكان زاهدا في مناهج الدنيا معرضًا عن مقانتها وسلطاتها، فقد كتب إليه والي الأهولار سليمان بن علي، يستدعيه لتأديب ولده، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزا يابسًا، فقال له الرسول: فما أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أنّي عنه في سعة وفي غنًى غير أني لست ذا مالٍ

شحًّا بنفسي أنّي لا أرى أحدا يموت هزلا ولا يبقى على حال

فقطع عنه سليمان راتبه، فقال له الخليل:

إن الذي شق فمي ضامن للرزق حتى يتوفاني

حرمتني خيرا كثيرا فما زادك في مالك حرماني

فبلغت هذه المقولة سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه، فإن دل هذا الموقف على شيء فإنما يدل على شجاعة الخليل وعزّة نفسه وقناعته الحميدة، والخليل هو أوّل من جمع الحروف في بيت من الشعر فقال من البسيط:

صِف خَلقَ خَودٍ كَمِثلِ الشَمسِ إذ بَزَغَت يَحظى الضَجيعُ بِها نَجلاءَ مِعطارِ[1]

---

[1] – انظر ترجمته في:

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، مطبعة بيروت، 1972م، ج2، ص 246.

– ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دون تحقيق، مطبعة القاهرة، دت، ج11، ص 75.

– ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الستويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص 199.

– ابن الأنباري: نزهة الألباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 49.

ب- علم الخليل وعمله:

كان الخليل بن أحمد غاية في تصحيح القياس وتعليل النحو واستنباط مسائله وأكثر كتاب سيبويه عنه أو مستمد منه، وكان على معرفة بالموسيقى وضع أوّل كتاب منها على غير إلمام بلغة أجنبية ولا علم بآلة موسيقية، وساعده بصرُهُ بالنّغم على اختراع علم العروض لما بين الإيقاع في الأنغام وفي الأجزاء من الشبه فضبط أوزان الشعر الخمسة عشر وحصرها في دوائرها الخمس ووقّعها على المقاطع والحركات، وشغل بذلك نفسه ووقته حتى كان يقضي الساعات في حجرته يوقّع بأصابعه ويحرّكها، فاتّفق أن رآه ولده على تلك الحال فظنّ به مسًّا من خيال فقال له الخليل: لو كنت تعلم ما أقول عذرتني.

والخليل أوّل من ضبط اللغة، وابتكر المعجمات، ووضع للخطّ هذا الشكل المستعمل.

ج- أشهر مؤلفاته:

نستعرض هنا ما وقع لنا مما دوّنه الخليل من كتب:

1- كتاب الإيقاع: ذكره ابن النديم في الفهرست، وابن خلكان في وفيّات الأعيان وهو من ثمرات ثقافة الخليل الموسيقية.

2- كتاب تصريف الفعل: ومنه قطعة في مكتبة بودليانة.

3- كتاب التفاحة: وهو في علم النحو، وقد صوّرته البعثة المصرية لتصوير مخطوطات اليمن.

4- كتاب جملة آلات الإعراب: ومنه نسخة بمكتبة أيا صوفيا.

5- كتاب شرح صرف الخليل: ومنه قطعة بمكتبة برلين.

6- كتاب الشواهد: ذكره ابن النديم وابن خلكان.

7- كتاب العروض: ذكره ابن النديم وابن خلكان، ويبدو أنه ضمّنه ما توصل إليه في علم العروض.

8- كتاب فائت العين: ذكره ابن النديم ويتبيّن من عنوانه أنّه استدراك لما فاته في معجم العين.

9- كتاب في العوامل: ذكره ابن خلكان ويظهر أنه أمضى فيه العوامل النحوية.

10- كتاب في معنى الحروف: ومنه نسخة بمكتبة لبين، وثانية بمكتبة برلين.

11- كتاب النغم: ذكره ابن النديم وابن خلكان، وهو يعتبر دليلا على معرفة الخليل بعلم الموسيقى معرفة تامة.

12- كتاب النقط والشكل: ذكره ابن النديم وابن خلكان، وقد ذكر أن الخليل هو أوّل من صنف النقط ورسمه في كتاب وذكر علله، وأن جماعة من النحاة والمقرئين الذين صنفوا في النقط بعده قد سلكوا طريقه واتّبعوا سنّته.

13- كتاب الجمل: وأوّل ما يتبادر إلى الذهن أنه مصنّف في الجملة العربية وصورها.

14- كتاب الشواهد: وأغلب الظن أنه يتضمن بعض الشواهد التي ساقها عن الأعراب.

15- كتاب المعجميّ: ويتضح من عنوانه أنّه في الألغاز.

16- كتاب العين: وهو أهم مؤلفات الخليل، وقد كان للأقدمين على هذا الكتاب ملاحظات جعلتهم يشكّون في نسبته كلّه إلى الخليل[1].

هذه جملة تصانيف الخليل التي ورد ذكرها في المصادر، وجلّها كتب طريفة في مواضيع مبتكرة، غير أن الممعن في النظر فيها يجد أن بعضها من شك الرواة في نسبتها إليه، مثل كتاب "العوامل" الذي صرح القفطي أنه منقول عليه، وكتاب "فائت العين"، وإذا كان كتاب "العين" نفسه موضع جدل وأخذ ورد، لم يجمع العلماء على أن الخليل صنفه كله أو نصفه، فكيف بالقول أنه أكمله أو استدرك ما فاته منه، لم يلحق بهذين الكتابين كتاب "الجمل" فلم يؤثر عن الخليل أنه ألف كتابا خاصا بالنحو على ما ذكره السيوطي في "المزهرّ"، ولو كان من عمل الخليل لأشار إليه سيبويه ومن تلاه من النحاة[2].

ثانيا: الخليل بن أحمد واضع علم العروض:

1- تعريفه:

هو علم تعرف به صحة أوزان الشعر العربي حين تعرض عليه، فيكشف مواطن الخليل فيها، وبذلك يتبين موزون الشعر من مختلّه، فيأمن حينئذ الناظم من اختلاط البحور بعضها ببعض، قال أحدهم بهذا المعنى.

وللشعر ميزان يسمى عروضه بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

[1] – جعفر نايف عياينة: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1989، ص 31.

[2] – رحاب عكاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2003، ص 27.

2- معاني العروض:

يطلق العروض لغة على الناحية، وعلى الطريق في عرض الجبل، وعلى محتوى الكلام ومعناه، كما تطلق على مكة والمدينة أيضا، وقيل: نسمّي هذا العلم عروضا لأن الشعر يعرض عليه أي يقابل به[1].

3- الخليل ونشأة علم العروض:

أول من ألف الأوزان واستنبط هذا العلم وأخرجه إلى الوجود الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ، فوضع كتابا سمّاه "العروض" ضمنه خمسة عشر بحرا، ثم زاد فيه تلميذه الأخفش الأوسط بحرا آخر سماه المتدارك، وهناك عدة روايات أوردها أصحاب التراجم حول استنباط الخليل هذا العلم منها[2]:

- قيل إن الخليل كان مرة في الحج ودعا ربه أن يهبه علما لم يسبقه أحد إليه، ولا يؤخذ إلا عنه، فما أن رجع من حجّه حتى وضع هذا العلم.
- وقيل: سئل الخليل: هل للعروض أصل؟ قال: نعم، مررت بالمدينة حاجّا فرأيت شيخا يعلم صبيا ويقول له:

نعم لا، نعم لا لا، نعم لا، نعم لا لا نعم لا، نعم لا لا، نعم لا، نعم لا لا

قلت هذا الذي تقول للصبي؟ فقال: هو علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه "التنغيم" بقولهم فيه: نعم، قال الخليل: فرجعت من الحج فأحكمتها، أي فأحكمت هذه الصنعة، وتمكنت منها.

- وقيل: إن الخليل كان مارا على سوق الحدّادين، فتناهى إلى سمعه أصوات المطارق، فأعجبه الصوت فاستنبط من ذلك علم العروض.
- وقيل أيضا: إن الخليل هاله اتجاه بعض الشعراء إلى النظم على أوزان لم يعهدها العرب من قبل فراح يدرس وينقب ويحرك بأصابعه حتى استنبط أوزان الشعر.

ومهما يكن من أمر اهتداء الخليل لهذا العلم، فإنما يغلب على الظن أنه أوتي موهبة فطرية عالية، وأن عبقريته الفذة ونشاطه الدؤوب مكّناه من استخلاص علم العروض، هذا العلم الذي سيبقى مقترنًا باسمه دون أن يزاحمه فيه طامع أو طامح.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، مادة (عرض).

[2] – راجع: – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص 244.

– ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج11، ص 73.

ولعل ما يستدل به على أن الخليل هو أوّل من أبدع هذا العلم، ما رواه عن ابن خلكان في وفيات الأعيان حين يقول[1]: إن الخليل كان له ولد، فدخل على أبيه يوما فوجده يقطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس وقال" إن أبي قد جنّ، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه، فقال مخاطبا له:

لَو كُنتَ تَعلَمُ ما أَقولُ عَذَرتَني أو كُنتَ تَعلَمُ ما تَقولُ عَذَلتُكا[2]

لِكِن جَهِلتَ مَقالَتي فَعَذَلتَني وَعَلِمتُ أَنَّكَ جاهِلٌ فَعَذَرتُكا

ويبدو أن طالب هذا العلم ينبغي أن يكون على قدر كاف من الموهبة والفهم، فقد حكى لنا الخليل عن شخص كان يتردّد إليه ليتعلم العروض، وقد أعياه ذلك حيث أقام مدة ولم يعلق على خاطره شيء منه، فقال له الخليل يوما: قطّع هذا البيت:

إذا لم تستطع أمرا فدعه وجاوزه إلى ما تستطع

فشرع في تقطيعه على قدر معرفته ثم نهض ولم يعد يجيء إليه، وهذا صرفه عن متابعة هذا العلم دون أن يجابهه بالمنع مواجهة[3].

ثالثا: مكانة الخليل في النحو العربي:

نشأ النحو العربي خوفا على القرآن الكريم من اللحن، وقد اختلفت الروايات في واضع علم النحو عند العرب:

أ–فريق من العلماء ينسبه إلى أبي الأسود الدؤلي ت 69 هـ.

ب–فريق ينسبه إلى الإمام علي كرم الله وجهه ت 40هـ.

ج–فريق ينسبه إلى نصر بن عاصم ت 89هـ.

ولكن أكثر الناس على نسبة النحو إلى أبي الأسود الدؤلي وبعضهم جعله منسوبا إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقليل نسبه إلى نصر بن عاصم، قال السيرافي: اختلف الناس في أوّل من

[1] – المرجع السابق، ص 247.

[2] – عذلتك: لمتك.

[3] – نايف معروف: علم العروض التطبيقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1987، ص9.

رسم النحو فقال آخرون: أبو الأسود الدؤلي وقال آخرون: نصر بن عاصم، وقال آخرون: عبد الرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي[1].

وقد كان لأبي الأسود الدؤلي أيضا جهود في نقط الإعراب على أواخر الكلمات لا على الحروف كلها، وكان يقول للكاتب: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن كسرت فاجعل نقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غُنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين. وقد استخدم أبو الأسود النقطة الحمراء لحركات الإعراب.

أما نقط الإعجام للمصحف الشريف كله فقد اختلفت الروايات في راسم ذلك فقيل هو نصر بن عاصم وقيل يحيى بن يعمر، وقيل الحسن البصري، وقيل اشترك الثلاثة في ذلك، وقد فرقوا بين نقط الإعراب نقطا حمراء، وأمّا نقط الإعجام فقد جعلوها من نفس مداد كلمات القرآن الكريم.

وجاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ فأكمل الحركات والتشكيل فجعل الفتحة ألفا صغيرة موضوعة على الحرف من اليمين إلى اليسار فوق الحرف المتحرك، وجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف المتحرك، وجعل الكسرة ياء صغيرة مردودة إلى خلف توضع تحت الحرف، وقد علل ذلك خليل بأن الفتحة من الألف، والكسرة جزء من الياء، والضمة جزء من الواو[2].

وقد ابتكر الخليل أيضا علامات أخرى غير علامات أبي الأسود الدؤلي مثل علامات الهمز والتشديد والإعجام.

فقد جعل على الحرف المشدّد ثلاثة أسنان حرف الشين مأخوذة من أوّل كلمة (شديد) وجعل الهمز رأس عين هكذا (ء) وذلك لقرب الهمزة من العين في المخرج[3].

وقد أحصى العلماء ما ابتكره الخليل من العلامات في عشر علامات هي:

1- الفتحة (ـَ).

2- الكسرة (ـِ).

3- الضمة (ـُ).

---

[1] – السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه زيني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1955، ص 33.

[2] – علي محمد الضياع، سمير الطالبين: في رسم وضبط الكتاب المبين، ص 123.

[3] – أبو عمر والداني: المحكم في نقط المصاحف، ص 141.

4- الشدّة (ـّ).

5- السكون (ـْ).

6- المدّة (ـٓ) وهي ميم صغيرة مع جزء من الدال.

7- الصلة أي حركة ألف الوصل، وهي عبارة عن رأس صاد هكذا توضع (اصـ) فوق الألف.

8- همزة القطع (رأس عين) هكذا (ء).

9- الروم.

10- الإعجام ولم يضع لهما علامة[1].

وقبل الخليل بن أحمد الفراهيدي ظهر جماعة من الرواد النحويين في البصرة ومنهم عبد الله بن اسحاق الحضرمي ت 117هـ، وعيسى بن عمر الثقفي ت 141هـ، وأبو عمرو ابن العلاء ت 154هـ، أحد القراء السبعة وأخذ عنه يونس ابن حبيب واليزيدي والخليل بن أحمد وغيرهم.

رابعا: الخليل رائد التأليف المعجمي عند العرب:

إن الخليل بن أحمد مثل من الأمثال، ولعل الكثير من الدارسين وذوي الاختصاص لا يعرفون سوى أن الخليل من المتقدمين الكبار، ثم تنبه فريق من المتخصصين إلى "الكتاب" كتاب سيوبيه ومكانة الخليل في هذا الكتاب النفيس، ولا يعدو علم آخرين بالخليل سوى أنه صاحب كتاب "العين" ويذهب فريق آخر في علمه إلى أبعد من ذلك قليلا فيعرف قاصدا أم غير قاصد إلى هذه المعرفة أن "العين" ليس من صنع الخليل، ومن العجيب أن الخليل بن أحمد لم يُعرف على حقيقته في مختلف العصور على الرغم من أن معاصريه ومن خلفهم قد أفادوا من علمه الشيء الكثير.

إن أشياء كثيرة تتصل بعلم الخليل قد خفيت على خيرة من الدارسين، أقول: إن الخليل أحد الكبار العباقرة الذين هم معجزة الحضارة العربية، وأنه مبدع مبتكر، والإبداع عند الخليل متمثل في عناصر عدة منها: إن الخليل قد وضع أوّل معجم للعربية فلم يستطع أحد ممن تقدمه أو ممن عاصره أن يهتدي إلى شيء من ذلك، ولابد لنا من أن نشير إلى أن علماء اللغة ممن تقدّم الخليل وممن عاصره لم يستطيعوا إفادة العربية بصنعة محكمة قائمة على الاستقراء الوافي.

[1] – شرف الدين الراجحي: علم اللغة عند العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دت، ص 81.

وبسبب من ذلك قصروا عملهم على تصنيف الرسائل الموجزة والمصنفات المختصرة التي تناولوا فيها موضوعا من الموضوعات كالإبل والوحوش والخيل والجراد والحشرات وخلق الإنسان وخلق الفرس والكثير والشرح واللجام ونحو ذلك من هذه المواد[1].

غير أن الخليل بن أحمد لم يصنع شيئا من ذلك فلم يعرض لهذه الأبواب التي أشرنا إليها ولكنه استقرء العربية استقراءً أقرب إلى ما يدعى "بالإحصاء" في عصرنا الحاضر فأراد أن ينتهي إلى كتاب "العين" فكان أوّل معجم في العربية، وهو عمل جيد كبير إذا عرفناه أنه من المعجمات الأولى في تاريخ اللغات الإنسانية.

ومن غير شك أن أصحاب المصنفات الموجزة التي أشرنا إليها قد أفادوا من كتاب "العين" لقد استقرؤوه استقراءً وافيًا فجرّ دوامته مصنفاتهم كما استقرؤوا كتبًا أخرى لا نعرفها ولم يفصحوا عنها.

إن صنعة أوّل معجم في أيّة لغة من اللغات على نحو وترتيب جديدين لا سابق لهما يجعله من أعمال الصفوة العباقرة الخالدين.

إن الخليل قد أحصى العربية إحصاءً تاما وبذلك هيأ مادة مصنّفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صنفوا معجمات، لقد اهتدى الخليل إلى طريقة "التقليب" التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من العربية والمهمل فعقد الكتاب على المستعمل وأهمل ما عداه.

حتى إذا تم إحصاء اللغة من الثنائي إلى الثلاثي فالرباعي فالخماسي كان ذلك إيذانًا ببداية مرحلة التدوين العلمي للعربية[2].

ومع ذلك لم يستطع معاصروه أن يضيفوا شيئا أو يقوموا بما قام به كما لم يستطع من خلفه أن يأتي بما أتى، كان كل جهد الذين خلفوا الخليل أن يفيدوا من نظام "العين" فيصنفوا معجمات اتخذ أصحابها منه أساسا لها كما فعل ابن دريد في الجهرة والأزهري في التهذيب.

إن عملية إحصاء العربية وحدها تعد العملية الكبرى التي هيأت بجميع أصحاب المعجمات المطولة المادة التي عقدوا عليها أبوابهم وفصولهم.

---

[1] – الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دط، مقدمة المحققين، ج1، ص 7.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 9.

ونستطيع أن نؤكد أن ما أضافه هؤلاء إلى من جاء به خليل لا تتناول المواد الأساسية بل هي إضافات ثانوية كزيادة في الشواهد من شعر وقرآن وحديث أو نسبة أبيات إلى أصحابها لم تنسب في معجم "العين".

لقد فطن الخليل إلى شيء في التطور التاريخي للعربية، لقد بدأ الخليل بذكر المصحف الثلاثي وهو يشعرنا بهذا إلا أن المضعّف الثلاثي قائم على الثنائي الذي يصاغ منه إلى الثلاثي، وهو من أجل ذلك يدعوه إلى الثنائي.

ومعنى هذا أن طريقة تضعيف عين الكلمة هي الطريقة الأولى في نقل الثنائي إلى الثلاثي حتى إذا تمّ الثنائي على هذا النحو انتقل إلى الثلاثي فيستوفيه ثم يعرض لما زاد على الثلاثي في هذا البناء المرتّب على الثنائي ثم نقل إلى المضعّف، ثم إلى غير المضعف، ومن هنا ندرك أن الخليل كان على علم واضح بأبنية العربية وتطورها التاريخي.

لقد سمى الخليل كتاب "العين" وهذا يعني أنه ابتدأ بصوت العين واتّبع نظامًا خاصًا ابتدعه فلم يتّبع النظام الأبجدي ولا النظام الهجائي الألفبائي.

ونشير في الأخير أن البحث في تاريخ العربية يدلنا على أن العلم اللغوي القديم قد اتبع في تقييده وضبطه وسائل علمية مازالت مقبولة، لقد اهتموا بالعربية الفصيحة لاهتمامهم بلغة التنزيل العزيز ولغة الحديث النبوي الشريف كما اهتموا بلغات العامّة.

الفصل الأول

الدرس المعجمي عند الخليل

المبحث الأول: المعجم العربي.

1-1- تعريف المعجم لغة واصطلاحا:

أ- لغة: العُجْم، والعَجَمُ: خلاف العُرْب والعرب، والأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه، والعَجْمُ: الإبهام، والخفاء وعدم الإفصاح، قال الشاعر:

منهل للعباد لابد منه * منتهى كل أعجم وفصيح

وعجمتُ الكتاب: أبهمته ومن ذلك قولهم: رجلٌ أعجم وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان كلامهما، وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم، وبلاد العجم سمّاها العرب بذلك لأن لغتها غير واضحة لهم ولا يفهمونها[1].

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل ليصير أعجم أخذ الفعل معنى جديدًا من معنى الهمزة الذي يفيد هنا السلب والإزالة والنفي، ففي اللغة: أشكيت زيدًا: أزلت له شكايته، وفيها: أقذيت عني فلان إذا أزلت ما بها من قذى، ومثلها قسط بمعنى ظلم وأقسط بمعنى أعدل أي أزال الظلم، وشفى عالج، وأشفى بمعنى أتعب، ووعد وأوعد، وبهذا يصير معنى "أعجم": أزال العُجمة أو الغموض أو الإبهام، ومنه أطلق على نقط الحروف الإعجام، أي إزالة اللبس والغموض، فحرف الجيم بدون النقطة يصح أن يكون جيما أو حاء أو خاءً، فإذا وضعنا النقطة أي أعجمناه زال الغموض. ومن هنا أيضا جاء لفظ "المعجم" بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين، إذن كلمة "معجم" إما أن تكون إسم مفعول من الفعل "أعجم" وإما أن تكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، ويكون معناها إزالة العجمة والغموض[2].

ب- اصطلاحًا: أما المعجم في الاصطلاح فهو كتاب يضم أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا إما على حروف الهجاء وإما على الموضوعات.

وفي تعريف ثان للمعجم: هو كتاب يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبيّن مواضع استعمالها.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، م مادة (ع.ج.م).

[2] – أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، بيروت، ط4، سنة 1980، ص 52.

وفي تعريف ثالث للمعجم: هو ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم، أي دون الهجاء[1].

1-2- علماء الحديث النبوي الشريف هم أوّل من استعمل لفظة المعجم:

حاز علماء الحديث النبوي قصد السبق لاستعمال لفظة "المعجم" قبل علماء اللغة فكان الإمام البخاري ت 256ه أوّل من استعمل هذه اللفظة من المحدثين، فقد جاء في الجامع الصحيح عنوان تعبير الإمام البخاري يقول فيه: "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم، والجامع هو أحد مؤلفات البخاري، وأبو عبد الله هو البخاري نفسه، وأوّل كتاب أطلق عليه اسم "المعجم" هو: "معجم الصحابة" ل يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، المولود في سنة 210 ه والمتوفى سنة 307 ه.

ثم جاء بعده الإمام اللغوي المعروف بابن بنت منيع المتوفي سنة 315ه، وسمى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة "المعجم الكبير والمعجم الصغير" ثم كثر استعمال المحدثين لكلمة "المعجم"، وعنهم أخذ اللغويون، والواضح أن اللغويين القدامى لم يستعملوا لفظ "معجم" ولم يطلقوه على مؤلفاتهم المعجمية، دائما كانوا يختارون لكل منها اسمًا خاصا بها يخلو من هذا اللفظ، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175ه صاحب أوّل معجم في العربية فإنه لم يسمِّ كتابه "معجما" وإنما سمّاه كتاب العين وليس معجم العين، وكذلك أبو عمرو الشيباني ت 206ه سمّى معجمه كتاب الجيم، وابن دريد ت 329ه كتاب الجمهرة، والفرابي ت 285ه كتاب ديوان الأدب وغيرهم، ولم يطلق لفظ "معجم" على المؤلف المعجمي بشكل مباشر في القديم إلا أبو الحسين أحمد بن فارس ت 395ه على كتاب "معجم مقاييس اللغة"، وفي العصر الحديث مجمع اللغة العربية عندما سمّى: المعجم الكبير والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز[2].

1-3- الإشارات الأولى في نشأة المعجم عند العرب:

لقد تضمن القرآن الكريم كثيرًا من الغريب والنوادر، وكثيرا من الألفاظ التي استغلقت معانيها حتى على الفصحاء من العرب، وهناك شواهد كثيرة من بعض العرب ندّت عنهم معاني كلمات هي من صميم اللغة، ولم يقفوا على معناها، ولم يكتشفوا حقيقتها إلا بعد سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم مثل:

---

[1] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، لبنان، ط2، 1990، مادة (ع.ج.م).

[2] – انظر: – محمد علي الرديني: المعجمات العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3، دت، ص 14.

– رجب عبد الجواد إبراهيم: المدخل إلى تعلم العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2001، ص 249.

السقارة: فقد روى سهل بن معاذ عن أبيه أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال الأمة على شريعة ما لم يظهر فيها ثلاث: ما لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم الخبث، وتظهر فيهم السقارة، قالوا: وما السقارة يا رسول الله؟ قال: بشر يكونون في آخر الزمان تحيتهم بينهم إذا تلاقوا تلاعنوا"[1].

التخوف: وهي الكلمة التي سأل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر، قال: يا أيها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)[2]، فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هو في لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوّف: التنقص، فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم، قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه:

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر: يا أيها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[3].

المتفيهقون: في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أحبكم لي وأقربكم مجلسا مني يوم القيامة أحسنكم خلقا، وأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة هم الثرثارون، المتشدقون، المتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين فمن المتفيهقون، قال: المتكبرون"[4]. رواه الترمذي وقال حديث حسن.

كما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يتقارب الزمان وينقص العمل، ويلقى الشح، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله وما الهرج؟ قال: القتل القتل"[5]. فقد استغلقت لفظة الهرج على بعض السامعين، ففسرها له عليه الصلاة والسلام، ويذكر بعض اللغويين أن هذه الكلمة حبشية، وهي تعني عند الحبشة القتل[6].

---

[1] – الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب، بيروت، دط، 1990، ج4، ص 491.

[2] – قرآن كريم: سورة النحل: الآية 47.

[3] – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن الزكي، مطبعة دار الكتب القاهرة، ط3، 1967، ج10، ص 110.

[4] – ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، الطبعة السلفية، القاهرة، دت، ج10، ص 456.

[5] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (هرج).

[6] – محمد علي الرديني: المعجمات العربية، ص 29.

1-4- المنظور التاريخي لنشأة المعجم العربي:

يقول الأستاذ أحمد أمين: "كان المدونون الأوائل للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفقوا وكما تيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث وثالثة في الرّجل القصير وهكذا، فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب، وكانت الخطوة التالية أن جمعوا الكلمات الخاصة بموضوع واحد، وأظهر ما كان ذلك في كتب الأصمعيّ فله كتاب الأنوار وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الإبل وكتاب الشاء، وهكذا يجمع ما ورد من الألفاظ اللغوية في موضوع واحد ويسميه كتابا وقد يكون الكتاب بطبع ورقات، ثم كانت الخطوة الثالثة "عمل المعجم"[1].

يتعرض أحمد أمين في هذا النص إلى أنّ جمع اللغة العربية قد مر بمراحل ثلاث هي:

1- **المرحلة الأولى:** جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، فيدون والله كلمه حيثما سمع غير ترتيب إلا السماع.
2- **المرحلة الثانية:** جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وتوجت هذه المرحلة بكتب ألفت في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد الأنصاري كتابا في المطر وكتابا في الليل، وألف الأصمعي كتابا في البخل والكرم، وكتابا في الشاء وكتابا في الإبل، وكتابا في أسماء الوحوش وكتابا في الخيل، وكتابا في النبات والشجر...إلخ.
3- **المرحلة الثالثة:** وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة، وأول من وضع هذا المعجم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين[2].

1-5- عوامل نشأة المعجم عند العرب:

لقد صارت اللغة العربية جزءًا من الدين الإسلامي لأنها لغة القرآن الكريم، ولذا شمر اللغويون ساعد الجد، وقصدوا إلى وضع المعجم العربي:

1- دراسة القرآن الكريم من أي خطأ في النطق أو الفهم، وخاصة إذا علمنا أن هناك ألفاظا كثيرة وردت في القرآن الكريم عدها اللغويون من الغريب والنوادر قد استغلق فهم معناها حتى على الفصحاء من المسلمين الأوائل، فقد سئل أبو بكر عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال أي سماء تظلني، وأي أرض

[1] – أحمد أمين: ظهر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط5، 1956، ص 319.
[2] – رجب عبد الجواد إبراهيم: المدخل إلى تعلم العربية، ص 254.

تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال: هذه الفاكهة وقد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا هو الكلف يا عمر.

2- إن اللغة العربية قد أصبحت جزءا من الدين الإسلامي الحنيف، ويؤكد ذلك حرص الرسول والصحابة على النطق بالعربية الفصحى، وقد أخطأ أحد المتحدثين أمام الرسول في اللغة، فقال كمن حفر من الصحابة: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ" وهنا اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحن والخطأ في اللغة من الضلال والبعد عن الهداية والرشاد.

3- حث الرسول والصحابة على تعلم العربية وتعليمها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "تعلموا العربية وعلموها لأولادكم فإنها لسان ربكم في الجنة"، وها هو عمر بن الخطاب يقول: "تعلموا العربية فإنها تقوي الفعل وتزيد في المروءة"، وجاءت إليه رسالة من أبي موسى الأشعري جاء فيها: من أبو موسى، فغضب عمر وأمر أبا موسى أن يضرب كاتبه سوطا ويؤخر عطاءه سنة، لا لشيء إلا لأنه أخطأ في اللغة، وكان ينبغي أن يقول: من أبي موسى.

4- التغير الذي طرأ على المجتمع العربي بعد الاسلام والذي أدى إلى انتقال العرب من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، الأمر الذي ترك صداه على اللغة العربية فتأثرت بلغة أهل الحضر، فعرض اللغة العربية النقية للخطر، فقد وجد جيل جديد من العرب ينطق اللغة العربية على نحو جديد ويستخدم ألفاظا جديدة.

5- بعد أن انكبّ الروّاة واللغويون على جمع مفردات اللغة ونزلوا إلى البادية يتعلمون عن العرب الفصحاء، واتسع إدراك الناس وبخاصة العلماء منهم بأن العمل المعجمي توفر عند عدد من العلماء على الحشد الهائل من المادة التي جمعت في الرسائل اللغوية الصغيرة، فعمدوا إلى تصنيفها في شكل أعمال معجمية جادة.

6- إن الإنسان قد يخطر له خاطر يريد التعبير عنه فلا تسعفه حصيلته اللغوية فيلجأ إلى التفتيش في بطون اللغة عساه أن ينشد ضالته وما يعبّر عن فكره هذا وقد أخذت اللغة في التوسع تبعا لاتساع آفاق الفكر الإنساني، وتلا ذلك ظهور الكتابة مسجل منها ما أمكنه تسجيله، فازدادت الثروة اللغوية وشرع اللغويون في شرح ما غمض منها حتى يتسنى الانتفاع بها[1].

[1] – أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، مكة المكرمة، الرياض، ط4، 1990، ص 58.

منهج معجم العين: قال السيوطي: ترتيب العين ليس على الترتيب المعهود الآن في الحروف، فقد أكثر الأدباء من نظم الأبيات في بيان ترتيبه، ومن ذلك قول أبي الفرج سلمة المعافري:

يا سائلي عن حروف العين دونكها * في رتبة ضمها وزن وإحصاءُ

العين والحاء ثم الهاء والخاء * والغين والقاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها * صاد وسين وزاي بعدها طاء

والدال والتاء ثم الظاء متصل * بالظاء ذال وثاء بعدها راء

واللام والنون ثم الفاء والباء * والميم والواو والمهموز والياء

قال أبو طالب المفضل لابن سلمة الكوفي: ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحروف العين لأنها أقصى الحروف مخرجا، قال: والذي ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجًا، قال: ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر في الكلام وأشدّ اختلاطا بالحروف لكان أولى.

قال ابن كيسان سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في امتداد كلمته ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيّز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصح الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف، وليس العلم بتقدم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته فبدأت بالعين كان حسنًا وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفًا[1].

1- وقد رتب الخليل الحروف ترتيبا مخرجيا على الشكل التالي:

ع ح هـ غ خ- ق ك- ج ش ض- ص س ز- ط د ت- ظ ذ ث- ر ل ن- ف ب م- و همزة ي

والسبب في بدء الخليل معجمه بالعين دون الهمزة ما ذكره ابن كيسان.

2- خصص لكل حرف كتابا، فيبدأ الكتاب بالعين، ثم كتاب الحاء، وهكذا على الترتيب المخرجي.

3- كان يلتزم تجريد الكلمة من زوائدها ثم يضعها في مكانها بعد ذلك.

[1] – السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص 89.

4- كان يضع في كل كتاب الكلمات التي تشتمل على الحروف الذي يحمل الكتاب باسمه أيا كان موضع هذا الحرف في الأول أو الوسط أو الآخر.

5- كان يقتحم الكلمات كل كتاب على حسب الصيغ التالية:

أ- المضعف الثلاثي والرباعي معا أي أنه يشرح معنى (العقعق).

ب-الثلاثي الصحيح.

ج- الثلاثي المعتل.

د- اللفيف مثل نوى وعى.

ه- الرباعي مثل يغير، المسجد.

و- الخماسي، وهو ما كان على خمسه أحرف كسفرجل، وجعل الرباعي والخماسي في باب واحد لقلة الألفاظ التي وردت فيهما.

6- عولجت القيمة ومقلوباتها في موضع واحد فمثلا نجد: الكلمات: عبد- عدب- دعب- دبع- بعد- بدع كلها يمكن أن تعالج نظريا تحت عنوان واحد المستعمل منها والمهمل، وهذا التنظيم يعرف باسم التقليبات[1].

[1] - حمدي بخيت عمران: المفصل في المعاجم العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، ص 80.

المبحث الثاني: منهج العين.

2-1- منهج الكشف عن الكلمات في معجم العين:

تقدم في تعريف معجم العين أن كل حرف من الحروف الصحاح يتضمن ستة أبواب هي: باب الثنائي، باب الثلاثي الصحيح، باب الثلاثي المعتل، باب اللفيف، باب الرباعي، وباب الخماسي، فأما باب الثنائي من كل حرف فيحتوي على الكلمات الثنائية التي تبدأ بذلك الحرف، وباب الثلاثي الصحيح يحتوي على الكلمات الثلاثية بذلك الحرف، وكذلك سائر الأبواب. وينبغي لمن يريد الوقوف على ترجمة كلمة في معجم العين ما يلي:

1- أن يعرف ترتيب الهجاء الذي قام عليه تصنيف المعجم، وحروف الهجاء في العين مرتبة على هذا النحو: ع ح هـ خ غ- ق ك- ج ش ض- ص س ز- ط د ث- ر ل ن- ف ب م- واي‌ء. ولابد قبل أن يحاول الدارس الكشف عن كلمة أن يعرف هذا الترتيب معرفة تامة، ليتمكّن من تحديد موقع أي باب من أبواب المعجم، وأبوابه بناء على هذا الترتيب هي: باب العين، باب الهاء، باب الميم.

2- أن يجرد الكلمة من الزوائد، فكلمة لمعان نجدها في باب الثلاثي من حرف العين، أي في باب العين واللام والميم معهما وتكون الكلمة حينئذ (لمع) ولا اعتبار للألف والنون لأنهما زائدتان على أصل البناء، وكلمة لمع هي في مجموعة (علم).

3- أن يرد المعنى إلى أصله في الكلمة المعتلة التي فيها إعلال، فكلمة (عطية) بعد تجريدها من الزوائد وهي الياء والهاء، وبعد إعادة المعنى إلى أصله في باب الثلاثي المعتل من حرف العين، وفي باب العين والطاء والواو معهما، أي (عطو) وكانت الواو معلة بسبب الياء قبلها.

4- إذا لم يكن في الكلمة عين كان الاعتبار للحرف الأسبق في ترتيب الحروف، فكلمة (لهج) مثلا يحدها في باب الثلاثي من حرف الهاء والجيم واللام، لأن الهاء في ترتيب الحروف أسبق من الجيم، والجيم أسبق من اللام.

5- ثم إن كلمة (واي) يحدها في آخر الباب من أبواب المعجم، وهذا يعني باب الأحرف المعتلة لأنها تتكون من الواو والهمزة والياء ولكنها من أحرف العلة[1].

[1] - رحاب عكاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ص 94.

2-2- معجم العين ومبدأ الجمع:

أحسّ الخليل عندما فكر في وضع أوّل معجم في اللغة العربية بحاجته إلى اختيار نظام من العلاقات بين الصوت المفرد (القويم) وبنية الكلمة العربية لكي يرتب على أساسه هذا المعجم بحيث يكون هذا النظام عليه مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا شيد عنه شيء من ذلك، ومن هذا النص نشعر أن الخليل لم يكن يسعى فقط إلى جمع كلام العرب وإنما كان يسعى إلى استقصاء وتدوين مدونة كبرى تضم كلام العرب كلّه، يؤكد ذلك قول تلميذه الليث ت 180هـ يقول: "كنت أسير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوما لو أن إنسانا قصد وألف حروف أ ب ت ث... على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب وتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء البتة"[1].

وهذا الأصل أو النظام الذي كان يسعى إليه الخليل جعله يعيد النظر في ترتيب أصوات اللغة العربية، ويبدو أن معرفة الخليل العميقة بالرياضيات والموسيقى هي التي وجهته إلى أهمية الجانب الصوتي في اللغة، وكان أماله حينئذ ترتيبان لأصوات العربية: أحدهما الترتيب الذي عرفته اللغات السامية أي الترتيب الأبجدي، والآخر الترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم ت 89هـ هو الذي قام به أثناء محاولته وضع نقط الإعجام.

والظاهر أن الخليل لم يشأ أن يسلّم بهذين الترتيبين إلا بعد حجة واستقصاء نظر، فرأى في الترتيب الأبجدي ترتيبا تعليميا يساعد على استظهار الحروف وحفظها، أكثر منه ترتيبا علميا يخضع لنظام معين، ومثل ذلك في الترتيب الألفبائي الذي يقوم على أساس من تشابه أشكال الحروف في الكتابة، ومن ثم رأى أن الترتيب الصوتي لأصوات اللغة العربية وفق مخرجها ابتداء من أقصى الحلق إلى الشفتين هو الترتيب العلمي والطبيعي في آن واحد، من حيث خضوعه لنظام محدد قائم على إدراك واضح لعملية النطق بما له من صلة باللغة والكلام. ومن هذا كله يخرج بالحقائق الآتية عن مبدأ الجمع عند الخليل:

1- أن الخليل لم يكن يفهم الجمع على النحو الذي فهمه علماء المعاجم من بعده، بمعنى حفظ كلام العرب كما سمعوه أو دون لهم وفق نظام معجمي معين، وإنما كان مفهوم الخليل هو استقصاء كلام العرب واستيعابه المهمل والمستعمل.

[1] - الخليل بن أحمد: معجم العين، ص 53.

2- إن الخليل عندما قصد إلى ذلك بدأ بدراسة أصوات العربية أي الوحدات التي يتألف منها كلام العرب.

3- لم تكن دراسته لأصوات العربية هدفا في ذاتها، وإنما بما لها من صلة ببنية الكلمة العربية التي يدور عليها المعجم ترتيبا وشرحا.

2-3- مقدمة معجم العين:

نشأت الدراسات اللغوية العربية بصفة عامة والدراسات الصوتية بصفة خاصة نتيجة لاحتياجات علمية تتصل بتلاوة القرآن الكريم، وتضم أحكامه ثم تعليم العربية لمن دخل الإسلام من غير العرب، ومن ثم فليس غريبا أن تسند معظم الروايات التاريخية أوّل نشاط لغوي عند العرب لقارئ من قراء القرآن الكريم هو أبو الأسود الدؤلي ت 68هـ الذي استخدم النقط ليرمز به إلى ظواهر صوتية رصدها بناء على الملاحظة المباشرة لحركات الفم بمالها من صلة بنطق هذه الأصوات.

بل قد كان معظم النحاة واللغويين الأوائل من القراء، وقد مهد هؤلاء السبيل لظهور علم الأصوات عند العرب بفضل ما لاحظوه وما أثاروه من مشكلات تتعلق بنطق بعض الكلمات في آيات القرآن الكريم نتيجة لاختلاف اللهجات العربية واختلاف المصاحف، وما لاحظه بعضهم أيضا من اختلاف في نطق بعض أصوات العربية على ألسنة الأعاجم والمولدين.

غير أن تلك الملاحظات الصوتية التي أثارها القراء وعلماء اللغة والتي تراكمت خلال قرن كامل تقريبا لم تأخذ صورة الدراسة المنظمة إلا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ في مقدمة كتاب العين.

وفي هذه المقدمة نجد معلومات صوتية لها قيمتها العلمية والتاريخية بل تتضمن هذه المقدمة فيما يتصل بتحليل أصوات العربية ودراستها معلومات لم يصل إليها علماء اللغة والأصوات في غير العربية إلا بعد قرون من عصر الخليل، ومع ذلك لم تلق دراسة الخليل لأصوات العربية ما هي جديرة به من البحث والدراسة، وربما كان ذلك للشك الذي أحاط بنسبة كتاب العين للخليل، وهو شك قديم أثاره الأزهري ت 370هـ وتبعه في ذلك بعض العلماء، في حين حظيت دراسة تلميذه سيبويه ت 180هـ لأصوات العربية باهتمام أكبر وأوسع يستوي في ذلك القدماء والمحدثون من العرب والمستشرقين. ومن الغريب أن

الأزهري الذي أثار عاصفة الشك حول نسبة معجم العين للخليل قد بنى معجمه على منهج الخليل، بل نقل مقدمة العين كاملة في مقدمته لمعجم تهذيب اللغة.

وقد ناقش هذه القضية كثير من القدماء والمحدثين وانتهوا إلى أن مقدمة معجم العين من وضع الخليل، وأنه رسم الكتاب ووضع خطته ومنهجه وربما اشترك في حشوه تلميذه الليث بن المظفر ت 180هـ ولكن مقدمة العين هي خالصة للخليل فهي بعقله أشبه وبما فيها من تحليلات لغوية إليه أقرب[1].

[1] – حلمي خليل: مقدمة في دراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 126.

المبحث الثالث: منزلة العين في المعجمات العربية.

كان الخليل يفكر، وأطال التفكير في صنع كتاب في اللغة يحصر لغة العرب كلها، لا تفلت منه كلمة، ولا يشذ منها لفظ، وهداه عقله الناقد الفاحص إليه، وخطا في ذلك خطوات علمية محكمة، وأقام خطته على نظام رياضي دقيق[1].

بنى الخطة على أساس من عدة الأصول التي تتألف منها الكلمة، ولم يعبأ بالزوائد، وقد توافرت لديه أبواب منتظمة محبوكة حبكا رياضيا متقنا.

عدة أبواب كتاب العين هي عدة الحروف السواكن يضاف إليها باب خاص بأحرف العلة، وأول أبواب الكتاب باب العين الي اتخذ منه اسم هذا المعجم، وينطوي فيه الكلمات المستعملة التي تتألف من العين مع ما يليها. ويليه باب الحاء، وينطوي فيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الحاء مع ما يليها. ويليه باب الهاء وينطوي فيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الهاء مع ما يليها. ثم باب الخاء، وفيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الخاء مع ما يليها. ثم باب الغين وفيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الغين مع ما يليها، وبالغين تنتهي مجموعة حروف الحلق، وهي تعادل نصف الكتاب.

فإذا انتهى من مجموعة أصوات الحلق بدأ بمجموعة اللهاة وفيها حرفان هما القاف والكاف وباب القاف يحتوي الكلمات التي تتألف من القاف مع ما يليها، وكذلك باب الكاف.

وهكذا ينتقل من الحروف الحلقية حتى ينتهي إلى مدرجة الشفتين، وفي صفحة الشفتين عنده ثلاثة أحرف صحاح هي الفاء والباء والميم، وأبواب هذه الحروف صغيرة جدا، لأنها إنما تحتوي الكلمات التي تتألف منها مع ما يليها، ولا يلي الفاء إلا الباء والميم ولا يلي الباء إلا الميم، ولا يلي الميم حرف ساكن فلم يبق منها إلا الكلمات التي تتألف منها مع أحرف العلة.

قال الخليل في باب الفاء: "لم يبق للفاء إلا اللفيف وشيء من المعتل".

وقال في باب الباء: " إن منزلة الباء مثل منزلة الفاء لأنها شفهية، وكذلك الميم في حيز واحد، وهو آخر الحروف الصحاح، ولذلك لم يكن له في شيء من الأبواب تأليف لا في الثّنائيّ ولا في الثلاثي ولا في الرباعي ولا في الخماسي، ولم يبق منها إلا اللفيف ".

[1] – الخليل بن أحمد: معجم العين، مقدمة المحققين، ج1، ص 15.

وقال في باب الميم: " الميم آخِرُ الحُروفِ الصِّحاح، وقد مضت مَعَ ما مَضَى من الحروف، فلم يَبْقَ للميم إلا اللفيف ".

فإذا انتهى من الحروف الصحاح عقد بابا للحروف المعتلة، وهو آخر أبواب كتاب العين، وآخر كلمة ترجمت فيه هي كلمة (آية).

وكل باب من تلك الأبواب يتناول بالدرس الكلم مرتبة بحسب أصولها، والكلم من حيث عدة أصولها تتدرج في ستة أبواب:

1) باب الثنائي المشدد ثانية.

2) باب الثلاثي الصحيح.

3) باب الثلاثي المعتل.

4) باب اللفيف.

5) باب الرباعي.

6) باب الخماسي.

وليس بعد الخماسي باب، لأنه ليس للعرب بناء في الأسماء والأفعال أكثر من خمسةِ أحرُف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فِعل أو اسم فاعلم أنَّها زائدة على البناء، نحو "قرعبلانة"، إنما هو "قَرَعْبَلَ"، ومثل عنكبوت، إنما هو: عنكب[1].

وطريقته في ترتيب الكلام في داخل الباب الواحد أن يأخذ من الثنائي مثلا "عق" فيترجم لها ثم يترجم لمقلوبها "قع" قبل أن ينتقل إلى الكلمة التي تلي "عق" وهي "عك".

وإذا وصل إلى باب الثلاثي الصحيح كانت المادة الأولى عنده هي المؤلفة من العين والهاء والقاف ولم يستعمل من وجوه هذه المادة إلا "عهق" و"هقع" فأثبتها وأهمل الأوجه الأخرى فإذا انتهى من الكلمة وتقليباتها انتقل إلى الكلمة التي تليها وهي المؤلفة من العين والهاء والكاف: "عهك" ولم يستعمل غيرها فأثبتها وأهمل ما سواها من التقليبات.

[1] – أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار القومية العربية للطباعة، دط، القاهرة، 1964، ج1، ص 42.

وهكذا إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالعين مع ما يليها من الحروف فيعقد بابا جديدا وهو باب الحاء مع ما يليه ويفعل فيه ما فعل في باب العين إلى أن تنتهي أبواب المعجم كلها، وكان قد بدأ بالعين، لا لأنها أول الحروف مخرجا، ولكنها أول الحروف نصاعة وثباتا، والهمزة عنده هي أول الحروف مخرجا، لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد على حد تعبيره في المعجم، ولم يبدأ بها لأنها حرف مضغوط مهموس إذا رفه عنه انقلب ألفا أو واوا أو ياء، ولم يجعل البدء بالألف لأنها ساكنة أبدا ولا بالهاء لهمسها وخفائها فهي كالألف، ولكنها أقوى منها في التأليف، لأنها تقبل الحركة، ويبدأ بها ومن أجل ذلك أخرها عن العين، لأن العين عنده أنصع الحروف[1].

قال ابن كيسان: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف".

وما قاله أبو طالب المفضل بن سلمة فيما زعم السيوطي، أن صاحب العين ذكر أنه بدأ كتابه بحرف العين، لأنها أقصى الحروف مخرجا وهم محض، لأنه لم يقل ذاك ولا شيئا قريبا منه.

وكان وهما أيضا ما جعله الزبيدي أساسا لنفي نسبة "العين" إلى الخليل، وكان قد استند إلى أمرين كلاهما ضعيف لا يصح الاستناد إليه:

الأول: ما لا حظه من خلاف في الظاهر بين ترتيب الأصوات في العين وترتيبها في الكتاب لسيبويه، ولو كان العين له لم يكن ليختلف قوله، ولا ليتناقض مذهبه.

والثاني: ما لاحظه من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف، وهو مذهب الكوفيين خاصة، فيما زعم[2].

أما الأول فالجواب عنه هو ما قدمناه من بيان، ومن نقل عن ابن كيسان. وأما الثاني فالجواب عنه أن الزبيدي ت 379هـ لم يقع له مذهب الخليل على حقيقته، لأن الثلاثي المضاعف عند الخليل إنما هو

[1] – الخليل بن أحمد: العين، المقدمة، ج1، ص 47.

[2] – السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 90.

من الثنائيات، وأن الرباعي المضاعف إنما ينشأ من تكرار الثنائي فهو منه وليس من باب آخر، وإذا أخذ الكوفيون بهذا الرأي فيما بعد فلا يعني هذا أنه من مذهبهم وأنه خاص بهم.

والعين بهذا أول معجم في العربية ولعله معجم منسق، وقد أنجز في زمن لم تكن أذهان الدارسين ممهدة لتقبل مثله، مثله مثل أي عمل يبتكر كان الخليل قد انفرد في انجازه، ولذلك بقي بعيدا عن متناول رواة اللغة، ولم يخطر على بال أحدهم إذ ذاك أن يصنف كتابا يكون "مدار كلام العرب وألفاظهم"، ولا يخرج منها عنه شيء، كما جاء في مقدمة "العين" ولم يكن ليكون مما اتجهت أذهانهم إليه، وانصبت عنايتهم عليه.

3-1- نماذج تطبيقية من معجم العين:

بعد أن تعرفنا على منهج الخليل بن أحمد في ترتيب المادة اللغوية في معجم "العين" وكذا طريقة الكشف فيه لا يسعنا الآن إلا أن نسوق نموذجين تطبيقيين من المعجم ليكونا بمثابة تطبيق عملي على ما أوردناه آنفًا.

أ- باب الثنائي من كتاب العين:

عرفنا أن الخليل كان يذكر في باب الثنائي كل ما كان على حرفين ولو بتكرار أحدهما، أو هما معًا، فيقول (في باب العين والسين):

عسّ: عَسْعَسَتِ السّحابة، أي دنت من الارض ليلًا في ظلمة وبرق، وعَسْعَسَ الليل: أقبل ودنى ظلامه من الأرض. قال في عسعسة السحابة:

فَعَسْعَسَ حَتَّى لَوْ نَشَاءُ إِذَا دَنَا كَانَ لَهُ مِنْ تَارِهِ مُتَقَبِّسٌ

ويروى بـ (القاف).

والعسُّ: نفض الليل عن أهل الريبة (عسّ يَعسُّ عَسًّا فهو عَسٌّ، وبه نُسمِّي العسَسُ الذي يطوف للسلطان ليلا، ويُجمع العساعس والعسسة والأَعْسَاسُ.

والمعسُّ: المطلبُ، والعُسُّ: القدح الضّخم، ويجمع على عساس وعسسة، وعسعسٌ: موضع، والعسعس: من أسماء الذئب ويقع على كلّ سبع إذا تعسعس وطلب الصيد بالليل.

والعَسُوسُ: ناقة تضرب برجليها فتصبّ اللبن، وقيل هي التي إذا أثيرت للحلب مشت ساعةً ثم طوفت ثم حلبت ودرّت.

سعّ: السعسعة: الاضطراب من الكبر، وتسعسع الإنسان: كبر وتولى حتى يهرم، قال رؤبة:

قالت ولم تأل به أن يسمعا يا هند وما أسرع ما تعسعسا

من بعد أن كان فتى سرعرعا

أي شابًّا قويًّا، وعن عمر: "إن الشّهر قد تسعسع فلو ضمنا بقيّته، ويروى تعسعس والأوّل أصحّ وأفصح"[1].

ب- باب الثلاثي من معجم العين: باب العين والكاف والدال

العكدَةُ: أصل اللسان وعقدته، وعكد الضب عكدًا أي سمن وصلُب لحمه فهو عكد، واستعكد الضبُّ: إذا لجأ بجحر أو حجر، واستعكد الطائر إلى كذا: انضم إليه البازي ونحوه قال:

إذا استعكدت منه بكلّ كداية من الصخر وافاها لدى كل مسرح

يقول: هذه ضبابٌ استعصمت من الذئب، فهو لا يقدر أن يحضر الكدية، وهو ما صلب من الأرض كذلك: الكداية.

دعك: دعك الأديم، والثوب ونحوه، والخصم وما شابهه، بدعكة دعكًا، إذا ليّنه ومعكه، قال العجاج:

قرم قروم صلهبا ضباركا قلخ الهدير مزحما مدعكا

دكع: الدُّكاعُ: داء يأخذ الخيل والإبل في صدورها، وهو كالخبطة في الناس، دُكِعَ فهو مدكوع، قال القطامي:

ترى منه صدور الخيل زورا كأن بها نحازا أو دكاعا[2]

[1] – الخليل بن أحمد: العين، مادة (عسّ).

[2] – المصدر نفسه، مادة (عكد).

- **تعقيب:**

من المادتين السابقتين نستطيع أن نُبيّن الأسلوب الذي اتبعه الخليل في معالجة المادة اللغوية في معجمه العين، والذي يتبلور فيما يلي[1]:

1. قد يورد تقليبات الأصل اللغوي ثم يضمّ الصور المستخدمة إلى بعضها ثم يثبت إلى جانبها كلمة (مستعملات)، ويضم الصور غير المستخدمة ويثبت قرينها كلمة (مهملات) ثم يعمد إلى معالجة المستعمل لغويا، ثم يفضل غير المستعمل.

2. يذكر مشتقات الكلمة، فيذكر الفعل الماضي، والمضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة نحو قوله، عسّ يعسّ عسًّ فهو عاسّ، دعك يدعك دعكًا، وقوله: عكد فهو عكد ودكع، فهو مدكوع دكاعا.

3. حينما يذكر الاسم يتبعه بذكر جمعه، وإن كان له أكثر من جمع واحد فغالبا ما يذكر هذه الجموع نحو قوله: العسوس: جمع العساعس والعسسة والأعساس، والعُسُّ يجمع على عساس، وعسسة وعسس.

4. يذكر أسماء الحيوانات والطيور والأماكن التي يحتاجها في توضيح معنى اللفظ أو مشتقاتها نحو قوله: العسوس: ناقة تضرب برجليها فتصبّ اللّبن، والعسعاس: من أسماء الذئب، وقد يقع على كل سُبع، وقوله: عكد الضب عكدًا: هذه ضباب استعصمت من الذئب، الدكاع: داء يأخذ الخيل والإبل في صدورها، استعكد الطائر إلى كذا: انضمّ إليه البازي، وقوله عسعس: موضع.

5. يعمد إلى ذكر المعاني الأصلية والجانبية للمادة اللغوية دون أن ينصّ على ما بينها في وشائج وصلات، كما في مادة (عكد) إذ العكد له معاني ثلاث هي بمعنى أصل اللسان وعقدته، وبمعنى سمن الضب وصلابة لحمه وبمعنى: لجوء الضب إلى جحر أو حجر، فهذه ثلاث معان ورد لمادة (عكد) دون أن يوضح العلاقة أو الصلة بين هذه المعاني.

6. يستشهد على ما يذكره من معان للمادة اللغوية في نصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف والفصيح من كلام العرب شعره ونثره.

[1] – صلاح راوي: المدارس المعجميّة العربيّة، دار الثقافة العربيّة، القاهرة، ط1، 1990م، ص 88.

7. كثيرا ما يأتي بالنصوص دون أن ينسبها إلى قائليها، ونادرًا ما يذكر هذه النّسبة كما في مادة (عسّ) حيث نسب النص إلى عمر ونسب الرجز إلى رؤبة. وفي مادة (عكد) حيث نسب البيت الأوّل إلى العجاج والبيت الثاني إلى القطامي[1].

[1] – ناجح عبد الحافظ: دراسات في المعجمات العربية، طبعة القاهرة، دت، ص 46.

المبحث الرابع: الاختلاف في نسبة كتاب العين للخليل بن أحمد.

تشكك عدد من العلماء الأوائل، واللغويين المشهورين في حقيقة نسبة معجم "العين" للخليل بن أحمد، بل ذهب فريق منهم إلى نفي نسبته إليه البتّة، بينما قطع فريق آخر بصحة نسبته إليه، وأنه مبتكره، ولا عمل لأحد فيه غيره، وذهب فريق ثالث إلى أن الخليل رسمه وبدأ العمل فيه، ثم أتمه غيره، وعليه يمكن تصنيف هؤلاء العلماء واللغويين إلى فرق ثلاث:

الفريق الأول: وهم الذين يرون نفي نسبة الكتاب للخليل، حيث ينكرون أن يكون له عمل فيه، وإنما هو من عمل الليث بن المظفر ويمثل هذا الفريق: أبو علي القالي، وأبو منصور الأزهري، وأبو علي الفارسي، وأبو الفتح بن جني وأخيرًا من اللغويين المحدثين الأب انستاس الكرملي.

الفريق الثاني: وهم الذين يرون أن الخليل ابتكر الكتاب ورسمه وبدأ العمل فيه، ولكنه لم يكمله، وإنما أكمله غيره ويمثل هذا الفريق: أبو الطيب اللغوي وأبو العباس ثعلب، والسيرافي وابن المقتر.

الفريق الثالث: وهم الذين يرون أن الخليل هو مبتكر معجم "العين" ومؤلفه بدءًا ونهاية ولا عمل لأحد فيه غيره، ويمثل هذا الفريق: ابن دريد، وابن فارس القزويني، وجلال الدين السيوطي، ومن المستشرقين: براولنتش، ومن اللغويين المحدثين إبراهيم أنيس، وعبد الله درويش وأحمد مختار عمر[1].

فبالنسبة للفريق الأول المنكر لنسبة معجم العين للخليل:

يقول أبو منصور الأزهري: كان الليث رجلا صالحا عمل كتاب العين ونسبه للخليل[2].

ويقول أبو الفتح بن جني فيما نقله عنه السيوطي: "فإن كان للخليل فيه عمل، فلعله أوفى إلى عمل هذا الكتاب إيماء"[3].

ويقول السيوطي أيضا في المزهر: " قال بعضهم ليس كتاب العين للخليل وإنما هو لليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخرساني"[4].

---

[1] – صلاح راوي: المدارس المعجمية العربية، ص 51.

[2] – الأزهري: تهذيب اللغة، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، المقدمة، ج1، ص 27.

[3] – السيوطي: المزهر، ج1، ص 77.

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 77.

ونلخص بعض وجوه النقد لكتاب العين فيما يلي[1]:

1- أن الكتاب يسير في بعض آرائه على مذهب الكوفيين، والخليل عاش في البصرة وتخرج على يديه كثير من علماء البصرة ومنهم تلميذه سيبويه، ومن هذه الآراء ما بدء الكتاب به وبنى عليه، من ذكر مخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها، وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل في كتابه، وسيبويه حامل علم الخليل وأوثق الناس في الحكاية عنه. وكذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف، وهو مذهب الكوفيين خاصة.

2- التبويب الذي سار عليه كتاب العين، وتخفيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل، والثنائي المضاعف من المعتل، والثلاثي المعتل بعلتين، وجعل ذلك كله في باب سمّاه "باب اللفيف".

3- اضطرابه في جمع المواد وخلطه بين الرباعي والخماسي.

4- استشهاد الكتاب بشعر بعض الشعراء المحدثين الذين جاءوا بعد فترة الاحتجاج.

5- أخذه عن بعض الرواة الذين جاءوا بعد وفاة الخليل.

6- اشتماله على كثير من التصحيفات التي يذكرها الخليل، من ذلك ما ذكره في باب "زعل": الزعلول: الخفيف من الرجال، وإنما هو الزعلول بالعين المعجمة نقلا عن أبي عمرو الشيباني، وفي باب عسو: عسا الليل أظلم، وإنما هو عس بالعين المعجمة، وفي باب حجل: الحجل أولاد الإبل وهو غلط وإنما هو الحجل بالحاء قبل الجيم، وفي باب لخص: التلخيص استقصاء خبر التبني وبيانه وإنما هو التلخيص بالخاء المعجمة، وفي باب همس: الهمسة: الكلام والحركة وإنما هي بالشين المعجمة.

وبالنسبة للفريق الثاني الذي يرى أن الخليل ابتكر معجم العين وبدأ العمل فيه ثم أكمله غيره:

يقول أبو الطيب اللغوي: "أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها" فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتوفي قبل أن يحشوه[2].

ويقول السيرافي: "وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور، الذي به يتهيأ ضبط اللغة"[3].

ويقول الشاعر المعروف ابن المعتز فيما نقله عنه ياقوت الجهوي: "كان الخليل متقطعا إلى الليث، فلما صنف كتاب العين خصته به، فحضي عنده جدا ووقع منه موقفا عظيما، ووهب له مائة ألف درهم. وأقبل

[1]- عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 36.

[2] – أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، مطبعة البابي مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دت، ص 57.

[3] – السيرافي: أخبار النحويين المصريين، ج1، ص 78.

على حفظه وملازمته، فحفظ منه النصف، وكانت تحته ابنة عمه، واتفق أنه اشترى جارية نفيسه، فغارت ابنة عمه وقالت: والله لأغيظنه... فأحرقته، فلما علم اشتد أسفه، ولم يكن عند غيره منه نسخة، وكان الخليل قد مات فأملي النصف من حفظه..."[1].

أما الفريق الثالث الذي يرى أن كتاب العين من ابتكار الخليل بن أحمد ومن إنجازه، فيقول أبو بكر بن دريد: "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى نهايته، فكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد..."[2].

ويقول الإمام فخر الدين الرازي: "أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب العين للخليل بن أحمد"[3].

ويقول حمزة الأصفهاني: "ذكر الخليل في كتاب العين أن مبلغ أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مرايتها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، من غير تكرار إثنا عشر ألف وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشرة"[4].

أما أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني فقد ذكر في مقدمة معجميه (المجمل ومقاييس اللغة) حين ذكر المراجع والمصادر التي رجع إليها وهو بصدد تأليفها، قال: "أعلاها وأشرفها كتاب العين للخليل بن أحمد"[5].

معجم العين بين التأثير والتأثر:

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو؟ هل تأثر الخليل بالمعاجم السابقة عليه؟

لقد حاول بعض الباحثين أن يبينوا وجود أثر يوناني في معجم العين الممثل في النظام الذي سار عليه مؤلفه، وهو النظام الذي طرقه الكثيرون قبله، ولكننا لا نستطيع أن نأخذ بوجود مثل هذا الأثر كما يأتي.

1- لم يكن الخليل يعرف اللغة اليونانية، ومن ثم فهو لم يطّلع على هذه المعاجم السابقة عليه عند اليونان.

---

[1] – ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص 46.

[2] – ابن دريد: معجم جمهرة اللغة، د ت، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، المقدمة، ج1، ص 3.

[3] – السيوطي: المزهر، ج1، ص 76.

[4] – السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، دت، ج1، ص 559.

[5] – ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الباري، القاهرة، دت، المقدمة.

2- لم تكن حركة الترجمة في عهد الخليل نشيطة ولم تقو هذه الحركة إلا في عهد الرشيد الذي بويع بالخلافة سنة 170 هـ، وقد مات الخليل في السنة نفسها كما ترجح معظم الروايات.

3- يختلف معجم العين عن تلك المعاجم اليونانية، في المعاجم خاصة لا عامة، أعني أن معجم الخليل معجم يأتم معنى الكلمة، فهو شامل يقصد إلى ذكر الواضح والغريب من الكلمات التي تنتمي الى كل فن. وبعبارة أوجز يرمي إلى استيعاب كلام العرب، ولكن هذه المعاجم القديمة لم ترم إلى شيء من ذلك: فالطبقة العليا الصغيرة كانت تسيطر على اللغة، وكانت قد اصطلحت على استعمالاتها ولم تكن هناك طبقة قارئة حازت قسطا من الثقافة، فهي تعتمد على الكتب والمعاجم لتصحيح أخطائها مما يؤدي إلى إظهار المعاجم العامة.

4- لم يوجد برهان يدل على إطلاع الخليل على معاجمهم اللغوية، والدليل على عكسه موجود إذ من المقرر أن علماء اللغة العربية والأدب العربي لم يعنوا المعرفة آثار الأدب واللغة اليونانية، ولو اهتم العرب بهذه الآثار لرأينا الشعر المسرحي اليوناني متنقلا إلى العرب، ونحن نعلم أن ذيوع شهرة اليونان بالتمثيل المسرحي وأصبح هذا الفن سمة مميزة لها[1].

ومجمل القول أن العرب أخذوا بترتيب الكتب على الحروف دون أن ينقلوه عن اليونان وأوصلوه بمراحل طويلة إلى منهج يخالف نهجهم دون أن يستفيدوا مما فعلوه قبلهم ولكن كانوا جميعا يجهلون أسلوب اليونان فكم أحرى بالخليل أن لا يكون مطلعا عليه مع بعد زمنه عن أثر اليونان واختلاف أسلوبه عن أسلوبهم وغايته عن غايتهم.

وإذا كنا ننفي الأثر اليوناني في معجم العين فإن هناك فريقا آخر من الباحثين حاول أن يبين وجود أثر للهنود في هذا المعجم ورأوا أن ذلك تمثل في هذا الترتيب الصوتي للحروف الذي التزمه الخليل، ومن المفيد أن نثبت تلك النصوص التي حالت بوجود هذا الأثر، مع مناقشتها بعد ذلك.

في دائرة المعارف الإسلامية مادة (الخليل بن أحمد) ورد: كان الخليل أيضا أول من صنف معجما عربيا هو كتاب العين، والظاهر أنه رتبه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية، وهي التي تبدأ بحروف الحلق حتى تصل إلى حروف الشفة، ويقول الدكتور شوقي ضيف: وقد وضع الخليل معجما

[1] – يوسف العش: أولية تدوين المعاجم، مقال لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد 16، سنة 1941م، الجزء 11، ص 514.

للعربية بترتيب مخارج الحروف متأثرا بالهنود في ترتيب لغتهم[1]، ويقول عن الخليل أيضا: ويظهر أنه عرف المباحث الصوتية عند الهنود وكانت قد نمت عندهم نموا واسعا وأضاف على ضوئها مادة صوتية غزيرة نقل منها تلميذه سيبويه في كتابه نقولا كثيرة[2].

ولم يقطع الدكتور محمود السعران برأي في هذه المسألة يقول: هل أخذ العرب أصول تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود؟ وهل تأثروا بهم في ذلك؟ لاسيما وأن ذلك قد ظهر عند العرب دفعة واحدة، وظهر عند سيبويه كاملا؟ فيجيب عن هذا بقوله: إن أخذ العرب عن الهنود في الميادين الصوتية واللغوية عامة أو تأثرهم بهم أمر محتمل نظرا، ولكننا لا نملك من الأدلة ما يدعونا إلى القطع بأن أخذا أو تأثرا قد حدث في هذا المجال أو ذاك[3].

وقد سار في هذا الشك أيضا Haywood وهو يحاول مناقشة أثر الهنود واليونان في المعجم العربي غير أنه ربما يكون الهنود هم الذين أعطوا العرب الأبجدية الصوتية وبعض الأفكار المعجمية، ويقول في موضع آخر: "لابد أن نأخذ بالاعتبار أثر فارس وفراسان في عمل المعاجم العربية، فقد قيل إن كل من الخليل والجوهري ألف معجمه هناك، وأكثر من هذا نلمح شبها بين ترتيب الأبجدية عند السنسكريتيين والترتيب الهجائي الخاص الذي استعمله الخليل..."، ثم يتساءل: ولكن إلى أي مدى أثر الهنود؟ من الصعب أن نجيب[4].

وهذه الآراء فيها اضطراب وشك كبيران، فدائرة المعارف تقول: "والظاهر أنه رتبه الدكتور شوقي ضيف يقول: "ويظهر أنه عرف المباحث الصوتية عند الهنود"، والدكتور السعران يقول: "إن أخذ العرب عن الهنود أمر محتمل وهذا الشك والاضطراب عند Haywood بل إنه يقول: "إنّ العرب يحتلون مكان المركز في مجال المعاجم بالنسبة للزمان أو المكان وبالنسبة للعالم القديم والحديث، وبالنسبة للشرق والغرب".

---

[1] – شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، طبعة دار المعارف، القاهرة، دط، 1968، ص 132.

[2] – شوقي ضيف: المدارس النحوية، طبعة دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976، ص 32.

[3] – محمود السعران: علم اللغة، مطبعة القارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1962، ص 99.

[4] - Haywood. GA, Arabic Lexicography, London, 1960, p:8.

والرأي عندنا هو أن الخليل لم يتأثر في هذا المنهج الصوتي عند الهنود، وإنما كان الأثر ناجما من أنه استعان بموضوع التباديل والتوافيق في الجبر، وهو موضوع بدأ دراسته في إبان النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد، أي إبان الفتح الإسلامي العالم الهندي "براهما جويتا".

وكان الخليل بارعا في الرياضيات وقد فكر في خلق طريقة تيسر للجارية التعامل مع البقال دون أن يخدعها من الناحية الحسابية.

وقد كان الخليل من أشد الناس ألفا للعربية حتى إنه استطاع بذوقه وحسه اللغوي الدقيق أن يضع علم العروض، ويبين بحوره المختلفة وهذا الوضع يعد من قبل الخليل أكثر مقدرة من وضعه منهج كتاب العين، فقد استطاع بهذا العلم أن يحصر أوزان الشعر العربي، وكان هذا كله ملائما لعقلية الخليل التي تدل عليها تلك الرواية التي تقول: "اجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد فلما افترقا قيل للخليل: كيف رأيته؟ فقال: علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ فقال: عقله أكثر من علمه، وقال حمزة الأصفهاني: إنه لم يكن للمسلمين أذكى عقلا من الخليل، ثم إن المستشرق برونليش من فرط إعجابه بنظريات الخليل صرح بأن نظام العين ليس غريبا أن يكون من عمل الخليل، بل الغريب ألا يكون منسوبا إليه[1]. ورأى أيضا أن التأثير الأجنبي في علم العربية بدأ على يد سيبويه ت 180 هـ، على حين كان أستاذه الخليل عربيا محضا[2].

ثم إننا إذا نظرنا إلى الألفباء في الهندية نجد أنها واحد وخمسون حرفا، في حين أن عدد حروف الألفباء العربية 29 فقط وقد بدأت بالعلل في حين أننا نجد الخليل قد بدأ بالسواكن وأخر العلل إلى آخر الألفبائية، كذلك اشتملت الألفبائية الهندية على رموز العلل البسيطة والمركبة، في حين حكت الألفباء العربية من رموز العلل المركبة، ووضعت الألفباء الهندية أصوات الصفير في آخر الحروف الساكنة في حين أن ما يقابلها في اللغة العربية: (الصاد والسين والزاي). قد وضع في مكان وسط، واعتبرت الألفباء الهندية الأصوات: (ي– ر– ل– ف) من أشباه أصوات العلة، ووضعتها متتالية بالترتيب السابق في حين أن الياء وضعت مع أحرف العلة في ترتيب الخليل، وفصلت الياء عن اللام والراء بالضاد في ترتيب ابن جني[3].

---

[1] – عبد الله درويش: المعاجم العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1956م، ص 15.

[2] – بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة مجموعة من الأساتذة، دار المعارف، القاهرة، دم، ص 123.

[3] – أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الحضور وأثره على اللغويين العرب، ص 151.

وإننا لو أخذنا جدلا بأن الخليل أخذ النظام الأبجدي حسب المخارج من الهنود، فإن هذا لم يكن الجديد حسب في معجمه، ولكن هناك الكثير من الجوانب التي نجدها في معجم العين وأصبحت منهجا أساسيا في التأليف المعجمي عند العرب حتى العصر الحديث، من بينها هذا الجمع المنظم لمفردات اللغة بعد جمعها من بطون البوادي وألسنة الأعراب، فقد قيل: إنه كان يحج عاما ويغزو عاما، فقد أحصى تلك المفردات التي جمعها إحصاء رياضيا شمل المستعمل والمهمل معتمدا على طريقة التباديل والتوافيق مستغلا براعته في الرياضيات والحساب.

وقد نظر إلى الكلمات حسب مكونات الحروف فالثنائي في باب، والثلاثي في باب، والرباعي في باب، والخماسي في باب، ثم نظر إلى حروف الكلمة، فالصحيح وحده، وكذلك المعتل واللفيف، وبعد أن نظم المواد حسب الطريقة السابقة تولى شرح المعاني خلال الشواهد، وهذا بعض جهد الخليل في معجمه وقد أخذه عنه الكثيرون ممن ألفوا في المعاجم العربية التي أشرنا إليها من قبل، وهي تبين فضل العرب في مجال التأليف المعجمي.

وتقدم بعض النصوص من كتاب "المعاجم العربية" لمؤلفه Haywood الذي أشرنا إليه من قبل، وهي تبين فضل العرب في مجال التأليف المعجمي وتقدمها خلال النقاط الآتية[1]:

1- الحقيقة أن العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أم المكان بالنسبة للعالم القديم وبالنسبة للشرق أو الغرب.

2- المعجم العربي عند نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة.

3- لو أن عربيا من القرن الخامس عشر عبر الزمن إلى بريطانيا في القرن العشرين، لما كان يستغرب رؤية معجم أوكسفورد الكبير على المكاتب لأن العرب كان لديهم معجم القاموس المحيط وكانت نسخه قبل اكتشاف الطباعة تعد بالآلاف.

4- عندما تقارن المعاجم العربية بما كتبته الشعوب الأخرى في السابق، وما تم عمله بالنسبة للمعاجم في أوروبا، فلا يمكننا إلا أن نحيي هذه الجهود تذكرة للأفكار والصناعة التي تستحق عظيم الثناء فلا يستطيع كتابة معجم "اللسان" أو "القاموس" إلا شعب عال جدا من الثقافة والأدب، ولا يستطيع جمع مثل هذين المعجمين إلا الباحثون المتميزون، وبدون هذين المعجمين ومعاجم التراث الأخرى في

[1] - Haywood: arabic Lexicography. p: 2-7-431-132.

اللغة العربية، كان سيعسر فهم الكثير من الأدب العربي حتى بالنسبة للعرب أنفسهم، وبدونها كان سيصعب فهم حقائق كثيرة عن الإسلام، وبدونها كان سيفقه الكثير من العلوم الإسلامية العظيمة، ولم يكن للعرب بأي حال من الأحوال أول شعب يضع المعاجم ذات الشأن، ولكن يمكن اعتبار الخليل أول شخص يحاول تسجيل معاني المفردات الكاملة للغة في العالم، وكان يقصد بذلك جذور الكلمات كلها، بدلا من الكلمات كلها، وليس في هذا سوى مثال واحد على أن العرب توافر لديهم الموقف الصحيح والسجية الموفقة لتأليف المعاجم.

الفصل الثاني

الدرس الصوتي والموسيقي عند الخليل

المبحث الأول: علم الأصوات عند الخليل.

حظيت الدراسة الصوتية باهتمام علماء اللغة المتقدمين، فتناولها النحاة في خاتمة مصنفاتهم والمعجميون في مقدمة معاجمهم[1] ولعل هذا التباين سببه اعتماد المادة المعجمية على الأصوات اللغوية، ولاسيما إذا رتبت مادتها وفق أساس صوتي، يقول "أحمد عبد الغفور عطار": "أما مدرسة الألفاظ فهي التي بنت قواعدها على علم الأصوات اللغوية، ورتبت المعاجم حسب الحروف التي تبتدئ بها أوائل الكلمات على اختلاف في ترتيب الحروف"[2].

ويبدو أن اهتمام المعجمين بالدراسات الصوتية مرده إلى أن صناعة المعجم في أصلها إنما انبثقت من حقيقتين ذوات صلة بالأصوات الصوتية، إحداهما: أن المعاجم اللغوية سجل لكلمات اللغة التي تعد الأصوات مادتها الحقيقة وقد وعي المعجميون ذلك[3] جاء في مقدمة "العين".

"هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري رحمه الله، من حروف: أ، ب، ت، ث مع ما تكلمت به فكانت مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها شيء أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطبتها فلا يشد عنه شيء من ذلك"[4].

فالكلمات أصوات تألف بعضها مع بعض، بل إن الأصوات هي الحقيقة المادية للغة وإلى نحو ذلك ذهب بعض علماء المتقدمين في تعريف اللغة[5].

والأخرى: أن المادة المعجمية اتكأت كثيرا في ترتيبها وعرضها على معطيات علم الأصوات.

وبعد استقراء جملة من الدراسات التي بحثت في المعاجم اللغوية تأليفا وتوليفا وبعد الاطلاع على معاجم هذه المدرسة* انتهت هذه الدراسة إلى اختيار" معجم العين" لوصف مفصل المخارج الأصوات.

---

[1] – ينظر سيبويه الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1982، ج4، ص85.

[2] – أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979، ص 93.

[3] – ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مثلا شاهد على هذا الترتيب.

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص47.

[5] – ابن جني: الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط2، 1994، ج1، ص 34.

* – هذه المدرسة هي مدرسة نظام المخارج التقليبية، ويمثلها كتاب العين للخليل بن أحمد وتهذيب اللغة للأزهري والبارع للقالي إضافة إلى معاجم أخرى.

1.1. المخارج النطقية للأصوات اللغوية:

تعد مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد فاتحة الدرس الصوتي عند العرب وقد أكد هذه الحقيقة كثير من العلماء المعاصرين، يقول أحمد محمد قدور: "وهكذا انتهيت بعد طوال الوقت ودوام التفكير فقد بدأ بهذا الموضوع منذ سبع سنوات، إلى أن مدخل البحث في علم الأصوات عند العرب هو الكشف العلمي المنصف عند جهود الخليل في مقدمة كتاب العين انطلاقا من أصالة هذا الجهد"[1].

إن أول ترتيب سجلته معاجم اللغة للأصوات اللغوية، وفق مخارجها، هو ترتيب الخليل بن أحمد في كتاب العين، فقد رتبها بدءا من أعمقها مخرجا، وبدا له أن العين هي أدخل الأصوات وأعمقها بعد أن استثنى الهمزة لما يعتريها من تسهيل وإبدال وحذف فضلا عن فقدانها الرسم يثبتها في الخط وسمي معجمه "العين" من باب تسمية الكل بالجزء.

ولا يفضي من مقدمة معجم العين الصوتية ما أثير عن صحة نسبة العين للخليل لأن للمقدمة على وجه الخصوص هي مما أجمع العلماء على نسبتها للخليل ويقول "حلمي خليل": "وقد ناقش هذه القضية كثير من القدماء والمحدثين، وانتهوا إلى أن مقدمة كتاب العين هي وضع الخليل فهي بعقله أشبه وبما فيها من تحليلات لغوية إليه أقرب"[2].

إذا كان الخليل لم يبتدئ بالألف لأنه حرف معتل، فإن مثل هذا ينقاس على الهمزة أيضا، فهي وإن كانت كما رآها الخليل أدخل الحروف بيدا أنه تجاوزها ولم يبتدئ بها لأسباب ذكرت عنه، منها أنه ليس لها رسم مستقل، ومنها أنها تبدل "واو" مرة و"ياء" مرة أخرى[3].

فلما تجاوز الهمزة، وبدأ بالعين ولم يتجاوز الألف ويبدأ بالباء، مع أن التجاوز ماثل في الحالتين، قيل عنه هذا التساؤل تجدر الإشارة إلى أن تقييم جهاز النطق عند جل المتقدمين من اللغويين والنحاة، يبدأ من الحلق أو أقصى الحلق وينتهي بالشفتين[4] وكان الخليل صاحب السبق في هذه الرؤية، ثم اتبع اللغويون سنته في ذلك.

---

[1] – أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات، دار الفكر دمشق، بيروت، ط1، 1998، ص08

[2] – ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص127.

[3] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1904، ج1، ص54.

[4] – ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.

وليس من الصحة في شيء ما ادعاه بعض الدارسين أن الخليل قد نقل هذا المنهج عن النحويين الهنود الذين اتبعوا ترتيب أبجديتهم بدءا من الحلق وانتهاء بالشفتين وقد كفانا الليث، تلميذ الخليل مؤونة البحث عن سبب اتباع الخليل هذا المنهج في ترتيب أصوات اللغة يقول: "فأعمل فكره الخليل فيه علم يمكنه أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر فدبر ونظر إلى الحروف بكلف وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق"[1].

إن ما قيل عن مخرج الكلام أنه كله من الحلق يحتاج إلى إيضاح فما المقصود بأن مخرج الكلام من الحلق؟ أليس لكل موضع نطقي في الجهاز النطقي أصواته.

لعل حل هذه المسألة يبدو من خلال فهم مقصد الخليل بمخرج الكلام، إذا يقصد به منشأ للأصوات اللغوية، وهو كما رآه الخليل من الحلق، بمعنى أن تيار الهواء القادم من الجوف يتحول إلى صوت في أقرب موضع يصادفه وهو الحلق فأول ما يكون النفس صوتا في الحلق، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الحلق عند المتقدمين يشمل الحنجرة، لذلك كانوا يجعلون الأصوات الحنجرية كالهمزة والهاء من أقصى الحلق، وقسموا الحلق إلى ثلاثة أقسام، هي أقصى الحلق، ووسطه وأدناه إلى الفم ولما كان صوت العين برأي الخليل أعمق الأصوات مخرجا آثر البدء به ثم صار إلى ما يليه من الأصوات الحلقية[2].

وبذلك يتضح لنا أن الخليل وإن كان قد تجاوز صوتا لغويا سواءً بدأ بالترتيب الألفبائي أو المخرجي، إلا أنه بدأ بإدخال الأصوات استنادا إلى اعتقاده بأن مخرج الكلام كله من الحلق.

كما قال "الليث": "وتعني الدراسات الصوتية في مدرسة الترتيب الصوتي بتعلم ذوق الحروف ويبدو هذا الذوق عن طريق فتح الفم بالألف ثم إظهار الحرف فيقال: أب، أت، أح، أع، أغ..."[3].

ولعل ذوق الأصوات بهذه الكيفية فيه من الملاحظة الذاتية للأصوات اللغوية ما يجعله خير وسيلة لتحديد موقع نطق الصوت، وذلك لما يتصف به الصوت من صفات نطقية تتحقق له من الألف بصورة خاصة، يقول "ابن جني": "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء، ثم الواو وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو... أما الألف

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ص47.

[2] – المصدر نفسه، ص52.

[3] – المصدر السابق، ج1، ص47.

فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر... كما يجري الصوت في الألف عقلا بغير صنعة..."[1].

أما مخارج هذه الأصوات في هذه المدرسة المعجمية (التقليبات الصوتية) فنجده عند الخليل في كتاب العين على النحو الآتي[2]:

رتبة المخرج	ترتيب الخليل	رتبة المخرج	ترتيب الخليل
الأول	الحلقية (ع، ح، هـ، خ، غ)	الخامس	النطقية (ط، د، ت)
الثاني	اللهوية (ق، ك)	السادس	اللثوية (ظ، ذ، ث)
الثالث	الشجرية (ج، ش، ض)	السابع	الذلقية (ر، ل، ن)
الرابع	الأسلية (ص، س، ز)	الثامن	الشفوية (ف، ب، م)

شرع الخليل في الحديث عن مخارج هذه الأصوات، وأول ما يلحظ على تصنيفها، حديثه عن مخرج الجيم الذي عده من الشجر يقول: "والجيم والشين والضاد، شجرية لأن مبدأها من الشجر الفم (مخرج الفم)"[3]، وحين وصف مخرج الجيم في موضع آخر جعله من بين عقدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. ولإيضاح هذا الوصف تجدر الإشارة إلى أن الخليل لما وصف الجيم أنها شجرية كان يصف الجيم الفصيحة، وهذه مخرجها شجر الفم أو الحنك الصلب (الغار)، ولكنه لما وصف الجيم من عقدة اللسان وبين اللهاة وضم بين القاف والكاف، فأغلب الظن أنه قصد بها الجيم العربية القديمة التي نسمعها الآن عند أهل اليمن والقاهرة فلا تناقض ولا التباس في وصفه، لأن هذا الصوت من الأصوات التي جرى فيها التطور اللغوي إذا انتقلت الجيم من الطبق إلى الغار بفعل قانون الأصوات ثم جاء القياس وطردها على وتيرة واحدة.

[1] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص21.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص51.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص52.

ووصف الخليل الهمزة بأنها من أقصى الحلق فإن رقه عنها لانت[1] ويبدو أن قوله "أقصى الحنك" يقابل الحنجرة في علم الأصوات الحديث لأن مخرج الهمزة منها.

ولعل أكثر ما يستدعي الانتباه في وصف الخليل، تأخر القاف عن الغين والخاء في مخرجها، فمعلوم أن الغين والخاء صوتان طبقيان، والقاف لهوية والطبق قبل اللهاة لا بعدها من جهة الفم.

أشار كمال بشر إلى هذه المسالة، وخرجها على غير وجه، فذهب مرة مذهبا اصطلاحيا يقول: "لا يمكن أخذ كلامه (الخليل) على أنه يقصد اللهاة بالمعنى المعروف لنا وإلا كان مخطئا في تقدير مواضع الغين والخاء والكاف كذلك... فلو كان يقصد اللهاة بمعناها العلمي المعروف لنا الآن لوجب عليه أن يعكس هذا الترتيب، إذ تخرج الغين والخاء من منطقة تلي اللهاة لا تسبقها أضف إلى هذا أن الخليل وصف الكاف بأنها لهوية... وليست الكاف لهوية بحال من الأحوال".

وافترض بشر في رأي آخر، وهو احتمالية الخطأ في وصف المخارج، يقول: "فالأمر حينئذ بالنسبة للخليل لا يعدو واحد من اثنين، إما أنه أخطأ في تقديم موضع الغين والخاء وأصاب في تقدير موضع القاف فوصفها بأنها لهوية، أو أنه لم يتفطن إلى موضع اللهاة في الجهاز النطقي فأخطأ في تقدير موضع القاف"[2].

وأورد رأيا ثالثا محتملا مفاده، أن الخليل يصف قافا أخرى غير التي نتداولها في الفصيح اليومي، ويشد من هنا عضد هذا الطرح أن وصفهم القاف بالجهر، وهي أشبه ما تكون بالصوت الذي سمعه عن نطق الحرف (G) في الانجليزية، وإذا صح هذا الاحتمال فإن موقع القاف يلي مخرج الغين والخاء كما ذهب الخليل[3].

إن إشكالية في وصف مخرج القاف يتأتى من جعل مخرج الغين والخاء أدخل من مخرج القاف ولذلك رجع كمال بشر أن تكون هذه القاف غير القاف التي ننطقها في الفصحى اليوم بل هي أشبه بالقاف البدوية[4] لأن هذه القاف طبقية لا لهوية.

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص51، 52.

[2] – كمال بشر، الأصوات اللغوية علم اللغة العام، مكتبة الشباب القاهرة، 1984، ص 109.

[3] – المرجع نفسه، ص110.

[4] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص433.

وإذا كان كمال بشر يطرح كل هذه الاحتمالات فإن المسألة لا تبرح بعدا اصطلاحيا لمفهوم اللهاة عند الخليل، فاللهاة في عرف الخليل غير اللهاة في عرفنا المعاصر، والمتتبع لمعنى اللهاة في كتاب العين يجد لها معنيين.

يقول الخليل: "واللهاة أقصى الفم وهي لحمة مشرفة على الحلق...".

ويقال لكل ذي حلق: "لهاة والجمع لها ولهوات"[1].

وبناء على ذلك فإن الخليل رحمه الله، يصف القاف البدوية التي هي طبقية في عرفنا المعاصر، ولهوية في عرفه الاصطلاحي، استنادا إلى معنى اللهاة المتقدم الذي يطلق على ما بين الفم والحلق أو أقصى الفم ولذلك جعل مخرج الخاء والغين أدخل مخرج القاف.

ويؤيد هذا الطرح أننا إذا عدنا إلى رتبة المخارج الصوتية عند الخليل[2] وجدنا المخرج اللهوي يقع بين المخرج الحلقي والمخرج الشجري (الغار)، وإذا عرفنا أن الخليل يتتبع المخرج اللهوي هو ما بين الطبق ولعل ما يؤيد ذلك أيضا ما قاله سيبويه عن مخرج القاف: "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف[3].

وبناءً على ما سبق لا يصح افتراض أن المقصود بمخرج القاف عند الخليل هو اللهاة بعرفنا المعاصر لأن الحنك الأعلى لا يقع فوقها كما وصف سيبويه، وإذا صح ذلك ما من داع لافتراض خطأ الخليل في وصف مخرج هذا الصوت أيضا، وعليه فإن جعل اللهاة، مخرجا للقاف لا يعد وأن يكون في وصف الخليل موضع الحنك الرخو أو ما يعرف بالطبق.

نحاول مما سبق أن نشرح المصطلحات التي أطلقها الخليل على المخارج حسب ورودها في العين:

أ. الحلقية:

ينسب الخليل إلى هذا المصطلح خمسة أصوات هي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، والغين يقول: "فالعين والحاء والهاء، والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق"[4].

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج4، ص88.

[2] – الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، مجلد4، ج5، ص171.

[3] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص433.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

يختلف الخليل عن غيره من علماء اللغة المحدثين في أن الحلق عنده يشمل منطقة واسعة تشمل الحنجرة، على أن الحلق في الدراسات الحديثة تشمل منطقة أضيق.

أما الهاء فقد لاحظها الخليل وعبر عنها "المهمة" أو كما يسميها المحدثون بفتحة المزمار وتخرج حينما تكون الفتحة واسعة ويسمع لها حين خروجها حفيف.

وأما الهمزة فهي صوت حنجري، تحدث حين تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، حيث لا يسمح بمرور كمية الهواء إلى الحلق، حيث تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو هيأة الهمزة[1].

أما الخليل فقد صنف الهاء من الأصوات الحلقية، ونسب الهمزة إلى الجوف وتصنيف الخليل لها مع الأصوات الحلقية جاء من مفهومه الواسع للحلق، خاصة وأن حدود الحنجرة مع الحلق ضئيلة حيث أن الحلق يقع في نهاية الحنجرة ويمتد إلى التجويف الأنفي من الخلف أي منطقة التي يتفرع فيها التجويف الأنفي والفموي، وهذه الحدود ليس من السهل تحديدها.

أما تقدم الخليل للعين والحاء والهاء فإنه كان قائما على القوة ووضوح هذه الأصوات ما دامت تشترك كلها في حيز واحد داخل مخرج الحلق الواسع انطلاقا من فكرته في التمييز بين الحيز والمخرج.

وتشترك العين مع الحاء في المخرج، ولكنها تختلف عنها في الجهر، ولعل هذا الاشتراك أدى إلى صعوبة تحديد مخرج كل منهما عند الخليل فوضع الحاء بعد العين[2].

أما إدخال الخليل للخاء والغين ضمن الأصوات الحلقية والخاء عنده أرفع من العين مخرجا فهذا صحيح، لذلك لم يختلف عن غيره من المحدثين في تحديد مخرجيها وهما أقصى الحنك.

ويبقى ترتيب تسلسل الأصوات الخمسة في سلم الحلق ترتيبا سليما مع التسليم بأن الحنجرة عنده هي جزء من منطقة الحلق الواسعة، وأن ترتيبه للأصوات الثلاثة الأولى (ع، ح، هـ) جاء مبنيا على أساس فيزيائي (أي ما يتعلق بوضوح الصوت) داخل الحيز الواحد وأن الخاء والغين تالية لهم[3].

---

[1] – عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، 1988، ص183.

[2] – حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، ص48.

[3] – قاسم البرسيم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004 ص117.

ب. اللهوية:

يستخدم الخليل هذا المصطلح للإشارة إلى المنطقة التي ينتج فيها صوت القاف والكاف، وإن ذكر الخليل لمصطلح اللهاة خلق اضطرابا في توزيع الأصوات الحلقية خاصة وأنه قدم الخاء والغين اللتين تنتجان في منطقة الحنك اللين على القاف التي تنتج في منطقة اللهاة السابقة لهما، وما زاد هذا الاضطراب تصنيفه للكاف ضمن الأصوات اللهوية.

ويرجع الخليل أن اللهاة هي جزء من منطقة الحلق وهي حيز في مخرج الحلق الواسع مثل العين والحاء والهاء التي هي في حيز واحد، والخاء والغين في حيز واحد ولكن كلهم حلقية، أما القاف والكاف هما في حيز اللهاة من مخرج الحلق[1].

وما يمكن قوله أن توزيع الأصوات السبعة على سلم الحلق عند الخليل خاضع لطريقة في تذوق الأصوات، فتقديمه وتأخيره لبعض الأصوات على بعض راجع إلى إحساسه في اشتراك جميع هذه الأصوات في المخرج العام، واختلافها في السمات النطقية خاصة لدى كثير ما يشير إلى ذلك بقوله: "إن بعضها أرفع من بعض" أو كما فعل مع القاف والكاف فقال عن الكاف أنها أرفع[2].

ج. الشجرية:

يستخدم الخليل هذا المصطلح للإشارة إلى الأصوات التي تنتج في منطقة الحنك الصلب، أو وسط الحنك وهي الجيم والشين والضاد.

كما أن المحدثون أطلقوا على هذه المنطقة التي تنتج فيها هذه الأصوات بـ: الغار، والحقيقة أن استخدام مصطلح الغارية لا يضيف أي توضيح لمصطلح الشجرية الذي لا يقل غموضا عن الغارية، ويفتقر إلى التحديد الدقيق، لأن مخرج الفم (شجر الفم) يخلق التباسا وتداخلا في وصف الأصوات ويمكن استخدام وسط الحنك للإشارة إلى الأصوات التي تنتج فيه[3].

ويتفق أصحاب اللغة المحدثين مع الخليل في الحيز الذي حدده للجيم والشين، وهو شجر الفم أو وسط الحنك ولكنهم اختلفوا معه في مخرج الضاد وفي التحديد الدقيق لمخرج كل من الجيم والشين، والياء

---

[1] – قاسم البرسيم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص 118.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص59.

[3] – المرجع السابق، ص 119.

حيث ذهب المحدثون إلى عد كل من الجيم والشين أصوات لثوية حنكية، أما الياء فمخرجها حنكي وسطي.

أما الضاد فهي تخرج من بين أسلة اللسان أو ما يليها، وبين حافة الأسنان، ولكن هذه الضاد التي حدد المحدثون مخرجها هي الضاد التي يسمعونها الآن في بعض الأقطار العربية كمصر والشام ولبنان، ونطق هذه الضاد يختلف عن نطق الضاد العربية الأصيلة التي وضعها الخليل[1] ومن ثم فلا مجال للقول بخطأ الخليل في تحديد مخرج الضاد، بل يجب التسليم بما حدده الخليل مخرجا النطق هذا الصوت.

د. الأسلية:

يستعمل الخليل هذا المصطلح للإشارة إلى منطقة إنتاج كل من الصاد والسين والزاي.

إن مصطلح الخليل الأسلية يعادل اللثوية الأسنانية في مفهوم الحديث، فهذه الأصوات تنتج عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة والأسنان العليا.

انطلاقا من هذا لم يوفق الخليل في نسبة هذه الأصوات إلى اللسان (طرفه) وكان الأجود أن ينسبها إلى اللثة فصحيح أن المحدثون يعترفون بدور طرف اللسان بأنه يعتمد على ما خلف الأسنان العليا، كما باعدوا بين مخرج الصاد ومخرج السين والزاي، وجعلوا مخرج الصاد أسلة اللسان أو ما يليها. وبين حافة الأسنان مع ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الحنك الأعلى المرن ومخرج السين والزاي بين أسلة اللسان والأسنان العليا[2].

هـ. النطعية:

تأتي النطعية بعد الأسلية في تسلسل مصطلحات مخارج الحروف عند الخليل، وهي تشير إلى موضع نطق صوت الطاء والتاء والدال.

وقد خالف المحدثون الخليل، وجعلوا الفاء في طائفة والدال والتاء في طائفة أخرى حيث يرون أن هذه الأصوات جميعا تشترك في موضع النطق واحد وأنها أصوات أسنانية لثوية.

---

[1] – مهدي المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، 1986، ص 102.

[2] – قاسم البرسيم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص103.

ووصف الخليل لها بأنها نطعية يصدق على الطاء وحدها لما فيها من الإطباق في حين وصفها المحدثون بأنها صوت أسناني لثوي مطبق، ولكن وضع الخليل الدال والثاء بعد الطاء، أي أن الدال أرفع من الطاء والتاء أرفع من الدال، ويجعل مخرجيها يتحركان إلى الأمام قليلًا، فيبتعدان عن نطع الغار الأعلى، ومن ثم يختفي الإطباق[1].

من كل ما سبق، يتبين أن الطاء تنتهي إلى طائفة الضاد، بين طرف اللسان وحافة الأسنان مع ارتفاع مؤخر اللسان نحو سقف الحنك اللين، وأن التاء والدال تنتهي إلى طائفة السين والزاي بين طرف اللسان والأسنان العليا.

و. اللثوية:

يستخدم الخليل هذا المصطلح للإشارة إلى المنطقة التي ينتج فيها صوت الظاء والذال والثاء فيقول: "الظاء والذال لثوية لأن مبدأها اللثة"[2].

فهذه الحروف عند الخليل في حيز واحد، ومبدؤها من اللثة، حيث يصطدم الهواء باللثة ثم يخرج من بين الأسنان، فاللثة حيزها وليس مخرجها ولكن كون بعضها أرفع من بعض يصل بالذال والثاء إلى ما بين الأسنان.

كما تجاهل الخليل الإطباق الذي يصاحب الظاء لأن الذال والثاء لا يشتركان معها في هذه الصفة حتى وإن اشتركت في الحيز أي أن المحدثون فرقوا بين الظاء وأختها بارتفاع مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك اللين في الظاء دون الذال بينما الذال[3] مجهورة والثاء مهموسة كما وصفها الخليل.

ز. الذلقية:

يشير مصطلح الذلقية عند الخليل إلى تلك المنطقة التي تنتج فيها الراء واللام والنون فهو يقول: "الراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من خلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلقي اللسان"[4].

---

[1] – حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، ص51.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

[3] – المهدي المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي اعماله ومنهجه، ص 51.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

فمجموع هذه الحروف عند الخليل في حيز واحد، الأرفع في الأرفع وهي ذلقية من ذلق اللسان من طرف غار الفم.

يتفق المحدثون مع الخليل في الدور الذي يقوم به ذلق اللسان من طرف الغار في نطق أصوات الراء واللام والنون، فالراء تحدث نتيجة لتكرار ضربات ذلق اللسان على اللثة، وهي عند الخليل من طرف غار الفم ولذلك تسمى بالصوت المكرر أما اللام فيعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء فيمر هواء اللام من جنبي الفم.

أما النون فتخرج حينما يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة وينخفض الحنك اللين فيخرج الهواء عن طريق الأنف[1] لذلك فالنون صوت أسناني لثوي أنفي.

ح. الشفوية:

يستخدم الخليل هذا المصطلح لنسبة الفاء والباء والميم:

"الفاء والباء والميم شفوية وقال مرة شفهية، لأن مبدأها من الشفة"[2].

وهي عنده جزء لا يتجزأ من حروف الذلاقة الستة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م فيقول: "وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان، والشفتين وهما مدرجتان هذه الحروف الستة، منها ثلاثية ذلقية ر، ل، ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم وثلاثة شفوية ف، ب، م تخرج من الشفتين خاصة ألا تعمل الشفتان في شيء من حروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"[3].

[1] – حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، ص53.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص58.

[3] – المصدر نفسه، ص51.

2.1. صفات الأصوات عند القدماء:

عني قدامى اللغويين العرب بصفات الأصوات وقسّموها كما يلي:

أ- الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة:

عرف سيبويه الصوت المجهور بأنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، وعرّف المهموس بقوله: إنه حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى النفس معه[1].

والجهر صفة من صفات القوة والهمس صفة من صفات الضعف، وعدد الحروف المهموسة عشرة وهي: الفاء والحاء والتاء والهاء والشين والخاء والصاد والسين والكاف والتاء، ويجمعها في قوله: سكت فحثه شخص، وبقية الحروف التسعة عشر هي المجهورة.

وقد عقّب المحدثون على تعريف سيبويه وابن جنّي للمجهور والمهموس وذكروا أنهما قد أغفلا دور الوترين الصوتيين في تحديد صفتي الجهر والهمس، ويرى المحدثون أن الجهر صفة صوتية ترتبط بتذبذب الاوتار الصوتية حين النطق، والهمس صفة أخرى تتعلق بعدم تذبذبها حين النطق، وتوضيح ذلك أن الوترين الصوتيين يهتزان اهتزازا منتظما مع الصوت المجهور ولا يهتزّان مع المهموس.

فالمجهور عندما ينطلق من مخرجه يدخل في النطق به زمرٌ صادر من الوترين الصوتيين والمهموس يخرج دون زمر، فالفرق بين أن أنطق هاتين الكلمتين: "رائع" و"رائح" مبني على هذا الاعتبار في التفرقة بين العين التي تعمل فيها الأوتار الصوتية وتقوم بالتّرميز والحاء التي تسكت فيها هذه الأوتار[2].

وتوضيح ذلك أنه قد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقًا كاملا بصورة لا تسمح بمرور تيار الهواء الصادر من الرئتين عبر التجويف الحلقي، ثم يحدث أن ينفرج الوتران فيدفع تيار الهواء المضغوط خلف الوترين ويصدر صوتا انفجاريا نتيجة لهذا وذلك في همزة القطع (Glottal Stop).

---

[1] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 434.

[2] – حسن طاطا: كلام العرب من قضايا العربية، دار المعارف، دط، 1971م، ص 7.

ب- الشدة والرّخاوة:

وقد عرّف قدامى اللغويين الحرف الشدّ بأنه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري معه، فالشدّة: هي انحصار صوت الحرف عند مخرجه بحيث لا يجري معه الصوت حين النطق به.

وأما الرّخاوة: فهي جريان الصوت مع الحرف لضعفه في المخرج وهي من صفات الضعف[1].

والحروف الشديدة ثمانية يجمعها قوله (أجد قط بكت) والحروف الرخوة هي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والطاء والذال والفاء، أمّا الحروف بين الشدّة والرخاء وهي حروف لم يجر الصوت معها كل الجري ولا ينحصر كل الانحصار، وهي خمسة أحرف يجمعها في قوله: (لن عمر).

ومن ملاحظات المحدثين على آراء القدماء في الشديد والرخو وما بينهما وقد ذكروا أن المصطلحات وذلك عند القدماء كان تأصيلها مقبولا لدى المحدثين وذلك لوضوح معناهما وما يزال استخدامها قائما إلى يوم الناس هذا، غير أن المحدثين يسمّون الحروف الشديدة بأنها انفجارية (Plosive) وذلك لأنّ الصوت الانفجاري كما عرّفه المحدثون: صوت ينحبس معه الهواء بسبب التقاء عضوين من أعضاء النطق وعند انفصالهما فجأة يسمع للصوت انفجارا وعكسه الصوت الاحتكاكي الذي يسميه القدماء (الرّخو) فالأصوات الاحتكاكية (fricative) وفيها تنطبق نقطتا المخرج انطباقًا جزئيا فقط فيظلّ هواء النفس يسري خلاله دون انفجار[2].

ج- الإطباق والانفتاح:

أمّا تعريف الإطباق عند القدماء فهو أن ينطبق اللسان على الحنك عند النطق بالحرف، والانفتاح بخلافه أي تباعد اللسان والحنك الأعلى عن الآخر حتى يخرج النفس من بينهما، عند النطق بالحرف، والإطباق من صفات القوة وحروفه أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وهذه الأحرف الأربعة أقوى حروف التفخيم وما بقي بعد هذه الأحرف الأربعة من حروف الهجاء فهي حروف الانفتاح.

---

[1] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 494.

[2] – ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت، ص 82.

د- القلقلة:

قال الخليل بن أحمد عن القلقلة هي شدة الصوت، وحروف القلقلة عند سيبويه والمحققين خمسة يجمعها قوله: (قطب جد)، سميت بذلك لشدّة ضغط صوتها عند الوقف، لأن هذه الأحرف مجهورة شديدة، فالجهر يمنع النّفس أن يجري معها ما احتاجت إلى التعامل في بيانها، فلذلك يحصل فيها للمتكلم ما يحصل من ضغط الصوت حتى تكاد تقرب من الحركة.

ولتوضيح ذلك فإن القلقلة هي اضطراب في المخرج عند النطق بأي حرف من حروف القلقلة الخمسة عند سكونه حتى تسمع له نبرة قوية وحروفه خمسة (ق ط ب ج د) والسبب في الاضطراب والتحريك فيها شدة حروفها لما فيها من الجهر والشدة ولها مراتب أعلاها الطاء وأوسطها الجيم وأدناها في بقية هذه الحروف الخمسة، والقلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف إذا سُكّنت سواء كانت في وسط الكلمة أو في آخرها[1].

هـ- حروف الصفير:

الصفير هو صوت زائد يشبه صوت الطائر ويكون في أحرف ثلاثة هي: الصاد والزاي والسين، وتخرج هذه الأحرف من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك فيأتي الصفير. وسميت حروف الصفير لأنك تسمع لها عند النطق بها صوتا يشبه صوت بعض الطيور، فالصاد مثلا تشبه صوت الإوزّ، والزاي مثلا تشبه صوت النحل، والسين مثلا تشبه صوت الجراد، وأقوى هذه الأحرف الثلاثة حرف الصاد لما فيه من استعلاء وإطباق.

ومجمل القول أن قدامى اللغويين العرب كان لهم دور رائد في تأسيس الدرس الصوتي، يقول الدكتور كمال بشر في الدرس الصوتي عند القدماء، وهكذا نهج العرب نهجًا يظنه بعضهم من صنع الفكر الحديث، ويخالونه خاصة من خواص البحث العلمي الموضوعي، في الوقت الحاضر، على حين تقرر الحقائق أن العرب سبقوا كثيرا من الأمم في معرفته وتطبيقه للوصول إلى نتائج قيمة[2].

[1] – مجد أحمد معيد، الملخص في علم التجويد، دار السلام، القاهرة، مصر، دت، ص 93.

[2] – كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص 22.

3.1. القراءات القرآنية في معجم العين (سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف):

اعتنينا في هذه الجزئية بدراسة القراءات القرآنية في معجم العين، ابتداء من سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الأعراف كنموذج، وقد آثرنا دراسة آراء الخليل وإشارته للقراءات القرآنية بحسب ترتيب سور الذكر الحكيم وآياته محاولين في ذلك تسليط الضوء على ما أورده الخليل، فقد عني انشغاله ببيان معاني الألفاظ في معجمه (العين). وما في هذه القراءات من ظواهر صوتية ولغوية ونحوية أشار إليها العلماء ونستهل هذا العمل بـ:

- **سورة الفاتحة:**

جاء في سورة الفاتحة قوله عز وجل: "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**"[1] الفاتحة /5

جاء في العين في مادة (قلب) (وجنتك بهذا الأمر قلبا أي محضا لا يشوبه شيء) وفي الحديث: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) (**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)[2] فيشبع رفع النون إشباعا وكان قريشا قلبا أي محضا[3].

ولم تشر مصادر القراءات التي بين أيدينا إلى قراءة الإمام علي (عليه السلام) هذه في إشباع رفع النون من (نستعين) إلا ما ذكره ابن خالويه نقلا عن معجم العين نفسه قال (ذكر الخليل بن أحمد في العين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقرأ لنستعين) يشبع الضمة في النون قال ابن خالويه أيضا صورة هذا الإشباع لمطلع الآية نفسها في قراءة نافع برواية ورش فقد قرأ (**إياك نعبدو**) بإشباع الضمة في (نعبد) حتى تصير كالواو ذاكر أنها لغة العرب[4].

وأشار إلى أن إشباع النون في قراءة الإمام علي (عليه السلام) لعله يكون بهذا الشكل (نستعينو) وهو لابد أن يظهر عند الوصل لا الوقت كما هو معروف وفي الوقت نفسه فإن الإشباع لا يكون مع الإسراع والاستحثاث إنما يكون مع الرؤية والتثبت[5].

---

[1] – سورة الفاتحة، الآية 5.

[2] – السورة نفسها، والآية نفسها.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج5، ص171.

[4] – ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، مكتبة الخانجي 1992، ج1، ص 201–202.

[5] – ابن جني، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي نجلي ناصف وغيره، ج1، ص 165.

ويلحظ من كلام الخليل الذي مر في صدر الحديث إلى أن ظاهرة الإشباع ظاهرة لغوية متأصلة في لسان القرشيين المعروفين فقد نسب لأهل الحجاز[1] ووقف ابن جني طويلا عند ظاهرة إشباع الحركات وكان يسميها مطل الحركات وعقد لها بابا في كتابه الخصائص وسماه باسم (باب في مطل الحركات) قال فيه: لإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء وبعد الضمة الواو[2].

ثم نراه يوضح كل ظاهرة من هذه الظواهر الثلاث بالشواهد اللغوية المستفيضة وكذا فعل في كتابه المحتسب مكررا الشواهد نفسها[3].

كقول الشاعر وقد أنشده أستاذه أبو علي الفارسي:

وإنني حينما يسري الهوى بصري من حوثما سلكوا إنني فأنظور

يريد فأنظره، فأشبع الضمة فأنشأ عنها واو[4] وقرأ الحسن البصري **(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)**[5]**الأعراف/145** بإشباع ضمة الهمزة في (سأريكم) فنشأت عنها واو القراءة العامة بدون واو بل وقفة خفيفة بعد الهمزة المضمومة[6] وقرأ الحسن أيضا: (قال عذابي أصيب به من أشاء) بواو بعد الهمزة وبها قرأ عمرو بن عبيد وقرأ الجمهور أصيب) بهمزة مضمومة دون إشباع.

- **سورة البقرة:**

قال عز وجل: "**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**"[7]**البقرة/117** إلى جانب القراءة العامة برفع (بديع) بإضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه[8] إلى جانبها يذكر الخليل القراءة بالنصب موضحا الوجه فيما يقول: ويقرأ بديع السموات والأرض بالنصب على جهة التعجب لما قال المشركون بدعا ما قلتم وببديعا ما اخترقتم أي عجبا فنصبه على التعجب مرجحا قراءة

---

[1] – صاحب أبو جناح، الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، مركز دراسات الخليج العربي، 1985، ص54.

[2] – ابن جني: الخصائص، ج3، ص123.

[3] – المصدر نفسه، ص115–116.

[4] – المصدر نفسه، ص318.

[5] – سورة الأعراف، الآية 145.

[6] – ابن خالويه، كتاب البديع (قراءة الحسن البصري وعمر بن عبيد)، مطبعة الرحمانية مصر، ط1، 1934، ص51.

[7] – سورة البقرة، الآية 117.

[8] – ينظر: الزمخشري، الكشاف، عبد الرزاق المهدي، دار الإحياء، التراث العربي بيروت، دت، ج1، ص 207.

الرفع على قراءة النصب فيرى قراءة العامة بالرفع هي الأولى بالصواب* ولم تذكر كتب القراءات وجوه القراءة في هذه الآية ولا أصحابها غير أن الزمخشري نسب قراءة النصب إلى "المنصور" فقال (لو قرأ المنصور بالنصب على المدح)[1] وذكر ثالثة ولم ينسبها وهي القراءة بالجر موضحا فيها الوجه فتقرأ بديع السموات مجرورا على أنه بدل من الضمير في له.

وقاله تعالى: "**ولو يَرَى الذين ظلموا إذ يرون العذابَ أن القوة لله جميعًا**"[2]**البقرة/165** يشير الخليل إلى قاعدة (الحمل في النظائر) في التنزيل في تعليل اختيار القراءة بالفاء في الفعل (يرى) من الآية المباركة نفسها (ولو يرى الذين ظلموا بالياء)، أما في بدلا من قراءته بالياء يقول: إنما اختار من اختار قراءتها بالتاء جملا على نظائرها نحو قوله عز من قائل: " **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ**"[3]سبأ/5 هذا واختلف القراء في القراءة بالياء أو التاء للفعل يرى من الآية المباركة نفسها: "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب" فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب (بالتاء) وقرأ الباقون:(ولو يرى الذين ظلموا) بالياء أما في "يرون العذاب" فقرأ الجميع بفتح الياء إلا ابن عامر فقد قرأ بضم الياء[4] ويرى الأزهري أن من قرأ بالتاء (ترى) فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. و اله والمراد به الأمة، ومن قرأ بالياء فهو للظالمين[5].

قال تعالى: "فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه"[6] أجاز الخليل رحمه الله في تبيينه قراءتي إثبات الهاء وحذفها مرجحا قراءة إثباتها معللا وجه الحذف بأن (من جعل حذف السنة أو قرأ (لم يتسنى) ومنه سانيته مساناة وإثبات الهاء أصوب.

وقول الخليل هذا في حذف الهاء وإظهارها في قراءة (لم يتسنه) إنما هو في الوصل لا الوقف إذ لا خلاف بين القراء في إظهارها وقفا فكلهم وقفا على العاء فيها وفي مثيلاتها من آية الذكر الحكيم.

---

*– وهو منصور بن المعتمر أبي عتاب السلسي الكوفي.

[1] – الزمخشري، الكشاف، ج1، ص208.

[2] – سورة البقرة، الآية 165

[3] – سورة سبأ، الآية 51

[4] – ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تح شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1، ص173–174.

[5] – الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1958، ط1، ج1، ص186–187.

[6] – ابن مجاهد: السبعة في القراءات، مرجع سابق ص189.

إنما الخلاف في إثباتها أو إظهارها وصلا، فقرأ حمزة ويعقوب (لم يتسن) بحذفها وصلا وفصل الخليل عليها قراءة إثباتها كما مر وحذف معا مثيلاتها أيضا من أي الذكر المبارك.

وانتهى القراء إلى جوار كل القراء تبنى معا بإثبات الهاء وحذفها وصلا، اختار أن معنى (لم يتسنه) مأخوذ من السنة بمعنى لم تغيره النون فالهاء على هذا من أصل اللفظة من قولك: بعته مسانهة. فتثبت عنده وصلا ووقفا، راويا بسند ينتهي إلى فريد بن ثابت أنه كتب (يتسنه) بالهاء، أما من وصله بغيرها فإنه جعل أصله من المساناة وقد مر بنا هذا التوجيه عند الخليل ويرى أبو عبيدة أن معنى (لم يتسنه) مثل ما يراه القراء أنه مأخوذ من السنة أي لم تأت عليه السنون فيتغير، وليس من الأسس المتغير.

- **سورة آل عمران:**

جاء في قوله تعالى: "وكفلها زكريا" قال الخليل: "الكافل: الذي يكفل إنسانا وينفق عليه، أي هو كفل مريم ينفق عليها ومن قرأ بالتثقيل فمعناها فكفلها الله زكريا"[1].

وأشهر قراءات كفلها القراءتان اللتان ذكرهما الخليل:

الأولى: بفتح الفاء وتخفيفها وقد قرأ بها من العشرة ابن عامر، ابن كثير، نافع، أبو عمرو بن العلاء، أبو جعفر ويعقوب وخلف[2].

الثانية: كلها بفتح الفاء وتشديدها وهي قراءة الكوفيين من باقي العشرة: حمزة والكسائي وعاصم.

واختار أبو عمرو بن العلاء التخفيف حملا عن نظيرتها في قوله تعالى: "**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**"[3]ال عمران /44 فلم يقل تعالى "يكفل" بتشديد الفاء وإنما قال " يكفل" بتخفيفهما[4] وذكر الفراء وجهي القراءتين وقد مر بنا، أن الخليل كان قد ذكرها في العين من قبل قال الفراء (من شدد جعل زكريا في موضع نصب كقولك ضمنها زكريا ومن خفف الفاء جاء زكريا في موضع رفع"[5] على أن

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج5، ص373–374.

[2] – ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 204–206.

[3] – سورة آل عمران، الآية 44

[4] – الفراء: معاني القرآن، ج1، ص208.

[5] – ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ص111.

في اللفظة نفسها قراءة أخرى ذكرها أبو عبيدة والأخفش فقرأ بكسر الفاء من كفلها لا تفتحها قال أبو عبيدة: "وفيهما لغتان كفلها يكفل وكفلها يكفل"[1].

واختار الأخفش القراءة بالكسر على الفتح ذاكرا قراءة أخرى بضم الفاء ذكرت ولم يسمعها، يقول وقال بعضهم: وكفُلها زكريا، وكفِلها أيضا زكريا وبه نقرأ وهما لغتان... وأما (كفُل) فلم أسمعها.

- **سورة المائدة:**

في قوله تعالى: " **وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**"[2] المائدة/60ذكر الخليل في العين سبع قراءات وردت في "عبد" مبينا معنى كل قراءة بإيجاز.

وأول قراءة يذكرها قراءة العامة كما يسميها وهي القراءة المشهورة التي قرأ بها القراء العشرة وهي (عَبَدَ الطَّاغُوتَ) بفتح الباء ونصب التاء إلا حمزة ومعناها عند الخليل: عبد الطاغوت من دون الله[3].

أما قراءة حمزة فهي: (وعُبد الطاغوت) بضم الباء وكسر التاء وهي القراءة الثالثة التي ذكرها الخليل وأعود للقراءة الثانية التي ذكرها الخليل وهي: (عُبِد الطاغوت) بصيغة المبني للمجهول.

أما القراءة الرابعة فهي (عبد الطاغوت) والمعنى عند الخليل: عباد الطاغوت، بالجمع كما تقول: ركع وسجد[4] وقرأ بها ابن عباس برواية عكرمة[5].

ووردت القراءة الخامسة في العين بهيئة (عبد الطاغوت) بكسر التاء لا بفتحها كالقراءة الأولى، وفسرها الخليل: بعبدة الطاغوت مثل، فجرة وكفرة فطرحت الهاء والمعنى فيها[6].

---

[1] – ابو عبيدة معمر المثني: مجاز القرآن، تج محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة ص47.

[2] – سورة المائدة، الآية 60.

[3] – ابن مجاهد: السبعة في القراءات، 246.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج2، ص49.

[5] – الطبرسي (أمين الإسلام ابي علي الفضل)، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج3، 214.

[6] – المصدر السابق، ج2، ص49.

وفي هذه القراءة قال الفراء (وكان أصحاب عبد الله ابن مسعود يقرؤون وعبدَ الطاغوت) على فعل ويضيفونها إلى الطاغوت ويفسرونها: خدمة الطاغوت ولقد قرأ قارئ (وعَبُدَ الطاغوت كان صوابا جيدا) يريد: عبدة الطاغوت فيحذف الهاء لمكان الإضافة كما قال الشاعر:

قام ولاها فسوقها صرخدا

ولاها: يريد بها ولاتها[1].

وكانت القراءة السادسة في العين هي (عابد الطاغوت) ومثل لها الخليل بقوله: ضارب الرجل[2]. وقرأ بها عون العقيلي وابن بريدة.

أما القراءة الأخيرة التي ذكرها الخليل فهي: (عبد الطاغوت) على الجمع قال عنها الجماعة لا يقال (عابد وعُبد إنما يقول عبُد وعُبُدْ).

بقيت الآية في اللفظة نفسها قراءات أخرى مثل: (وعبدوا الطاغوت) على الجمع وهي قراءة "أبي بن كعب" وهناك قراءات أخرى[3].

- **سورة الأنعام:**

جاء قول الله في سورة الأنعام: "**وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ**"[4] الأنعام/100، اختار الخليل القراءة بتخفيف الراء "خرقوا" على قراءة خرقوا بتشديدها قائلا (التخفيف أحسن)[5] وقرأ بالتخفيف: القراء العشرة إلا نافع وأبا جعفر فقد قرأ (وخرقوا) بتشديد الراء.

واختار أبو منصور الأزهري القراءة بالتخفيف مبينا الفارق اللغوي الدقيق بين الصيغتين بقوله التخفيف هو الوجه يقال: خُرَقَ فلان الكذب وأخترقه، وخلقه واختلقه، وحرصه واحترصه، إذا افتراه وهناك ما شدد في ذلك.

وكان الخليل من قبل قد ذكر في العين أن معنى الإختراق كالاختراق وأن تخرق الكذب كتخلقه.

---

[1] – الفراء، معاني القرآن: ج1، ص314.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج2، ص49.

[3] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص314.

[4] – سورة الأنعام، الآية 100.

[5] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج4، ص150.

جاء في العين (عدا، يعدو عَدْوا، وعُدْوا، مثقلة وهو التعدي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، ويقرأ:" فيسبوا الله عدُوًا" على فعول في زنة قعود[1].

والقراءة (عَدْوًا) بضمتين، وواو مشددة قرأ بها الحسن البصري وأبو رجاء وقتادة وسلام وعبد الله بن يزيد، ويعقوب وبعض أهلة مكة وقرأ باقي العشرة بفتح العين وإسكان الدال وتخفيف الواو "عدوًا"[2].

واختار الأخفش قراءة التخفيف (عدُوًا) معللا الوجه بقوله: "ونقول "عَدوا" لأنها أكثر في القراءة وأجود في المعنى لأنك تقول "عدوًا علينا" مثل: "ضربة ضربا"[3].

وتابع الأزهري الخليل في اتفاق معنى الصيغتين فـ (عدوا) و(عُدَوَا) بمعنى واحد، يقال: عدا فلان عدوا، وعدوا، إذا جاوز الحد في الظلم موردا، قراءة ثالثة وضمها بالشذوذ قرى فيها (عَدُوًا) بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو والمعنى على هذه القراءة[4].

جاء في قوله تعالى: "ويجعل صدره ضيقا حرجا" قال الخليل: رجل حرج وخرج بمعنى الضيق الصدر وقرأ: (ويجعل صدره ضيقا حرجا) بفتح الراء و"حَرِجا" بكسرها[5].

وذكر الفراء أن ابن عباس وعمر قد قرأ بالكسر على حين قرأ الناس بالفتح وفسر ابن عباس الحرج بالموضع الكثير الشجر الذي لا تصل إليه الراعية قال: فكذلك صدر الكافر لا تصل إليه الحكمة وهي في كسر الراء وفتحها بمنزلة الوَحَد والوحِد، والفِرد والفرِد، والرنّفِ والرَّف، تقول العرب في معنى واحد[6].

إلى جانب القراءة في قوله تعالى:" **ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ**"[7] **الأنعام/136**، بضمتين في خطوات أورد الخليل بن أحمد قراءة أخرى ارتأى من قرأ بها تخفيف الفم المتتابع قال الخليل: ومن خفف قال خطوات أي قرأ: ولا تتبعوا خطوات الشيطان بتسكين الفاء المعنى: لا تتبعوا آثار الشيطان أي: لا تفتقدوا به والقراءة بتسكين الفاء أخف وأسهل نطقا من ضمها.

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج2، ص213.

[2] – الفراء: معاني القرآن، ج1، ص377.

[3] – المصدر نفسه، ص307.

[4] – المصدر نفسه، ج2، ص377.

[5] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، ص76.

[6] – المصدر السابق، ج1، ص353-354.

[7] – سورة الأنعام، الآية 136.

وفي اللفظة نفسها قراءة ثالثة أجازها النحاس وذكر الزجاج أن في الخطوات ثلاثة أوجه: ضم الطاء وفتحها وإسكانها[1].

- **سورة الأعراف:**

جاء في قوله تعالى: " **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**"[2] الأعراف /12 يرى الخليل أن حرف النفي (لا) المدغم بأن قد يأتي زائدا وقد قرى ما منعك أن تسجد بحذف لا والمعنى واحد... تقول: أتيتك لتغضب علي[3] أي لئلا تغضب علي ولم تنشر المصادرات بين يدي إلى القراءة التي جاءت في العين: "ما منعك أن تسجد"، وذهب بعض العلماء إلى القول بزيادة (لا) من خلال بيان معنى القراءة المشهور والشائعة، "ما منعك ألا تسجد"[4]، قال الفراء: المعنى والله أعلم ما منعك أن تسجد و(أن) في هذا الموضع تصبحها لا وتكون لا صلة، مستشهدا على اجتماع أذاتي للجحد والذي يأتي لغرض التوكيد له بشواهد من القرآن الكريم والشعر كقوله تعالى: " **لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ**"[5] الحديد/29 والمعنى ليعلم أهل الكتاب ألا يقدرون.

وأكد أبو عبيدة والأخفش أن معنى قوله تعالى: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ" هو ما منعك أن تسجد، ولا زائدة، واستشهد الأخفش بقول الشاعر:

أبي جوْده لا البخل واستعجلت به نعم، من حتى لا يمنع الجوع قاتله

والمعنى: أبي جودة البخل ولا" زائدة حشوا، وصلو بها وللبيت معان أخرى[6].

وقال الزمخشري أيضا بزيادة (لا) في الآية نفسها، مستشهدا لذلك بما في القرآن الكريم منوها بأن فائدة زيادتها هو توكيد معنى الفعل وتحقيقه وذكر القبرسي والطبابي، رأي زيادة "لا" مشيرين إلى الرأي الآخر الذي رفض القول بزيادة "لا" ويكون المعنى على هذا الرأي: "ما دعاك إلى أن لا تسجد" وصوب الشريف المرتضى القول بعدم زيادة "لا" مؤكدا بأن القول بزيادتها محل إنكار كثير من أهل على أنه خارج

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج4، ص364.

[2] – سورة الأعراف، الآية 12

[3] – المصدر السابق، ج8، ص349.

[4] – ابن خالويه: السبعة في القراءات، ص85.

[5] – سورة الحديد، الآية29.

[6] – الفراء: معاني القرآن، ج1، ص374.

عن المعنى، والمراد به ما دعاك إلى ألا تسجد الآن من منع من شيء، وممن لا يراها زائدة أبو عمرة بن العلاء، وقد نقل عنه يونس ذلك[1] واستحسن الزجاج رفض عمرو بن العلاء أن (لا) جاءت هنا لغوا[2] وقف المبرد فيما ينقل الشريف الرضي موقفا واضحا من قضية القول بزيادة الحروف في القرآن الكريم وقد نوه الشريف الرضي بهذا الرأي ناهجا نهجه سالكا سبيله يقول: إن لأبي العباس المبرد مذهبا في جملة الحروف جاء في القرآن إلا المعنى مفيد وذلك أن الزيادات والنقائص في الكلام أنما يضطر إليها ويحمل عليها الشعر الذي هو مقيد بالأوزان والقوافي وينتهي إلى غايات ومرام.

قال الخليل: عكف، يعكف، عكفا وعكوفا، وهو إقبالك على الشيء لا تصرف عنه وجهك " **قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ**"[3] الأعراف/138 بكسر الكاف ويعكفون بضمها[4].

اختلف القراء، فقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بن العلاء برواية عبد الوارث وخلف برواية الوراق (يعكفون) بكسر الفاء وصرح أبو عبيدة أن في الآية لغتين: يعكُفون ويعكِفون أي يقيمون[5] ومثلهم ذهب ابن خالويه قائلا: لهما لغتان: يعكُف، يعكِف، ويعرِش ويعرَش ومعنى يعكفون بمعنى يواضبون عليه ويقيمون عليه وكل من لزم شيئا فقد عكف عليه ومنه الاعتكاف في المساجد[6] مؤكد أن كل فعل مفتوح العين في الماضي جاز كسره وضمه في المضارع إلا أن يمنع السماع من ذلك جاء في العين، أن الرجل البائس، الرجل النازل به بلية أو عُدم يرجم لها به ومنه اشتقاق بنين وهو نقيض صلح، يجري، مجرى (نغم) في المصادر إلا أنهم إذا صرفوه قالوا:"بَنَسوا ونعموا" وإذا جعلوه نعتا قالوا :"نعيم بنيس" كما يقرأ قوله تعالى: "**بِعَذَابٍ بَئِيسٍ**"[7] الأعراف/165على وزن "فعيل" وهي ظاهرة عند سفلى مضر، فإنهم يكسرون فاء "فعيل" إذا كان الحرف الثاني من حروف الحلق الستة فيقولون نعيم وبنيس وأما القراءة بالفتح (بَئَسَ) فقد قرأ بها الحسن البصري وهي بزنة وأصلها "بئس" خففت فيها الهمزة فصارت بيني وبين الهزة والياء

---

[1] – الأخفش معاني القرآن، ج1، ص321.

[2] – الزمخشري تفسير الكشاف، ج2، ص86.

[3] – سورة الأعراف، الآية 138.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص205.

[5] – أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، ص91.

[6] – ابن خالويه: الإعراب القرآن السبع وعللها، ص204.

[7] – سورة الأعراف، الآية 165.

فلما قاربت الياء ثقلت فيها الكسرة فسكنت طلبا للتخفيف وأما القراءة بالكسر (بئيس) فيحتمل أن أصلها (بئس) بالهمز طلبا للتخفيف أبدلت الهمزة ياء.

وفي ختام هذا المبحث نلحظ أن علم اللغة الحديث، يعد الأصوات الإطار الذي تتبني عليه البنى الأخرى، ودراستها تعد جزءا لا يتجزأ من المستويات اللسانية.

ومما لا شك فيه أن الدراسة الصوتية في جانبها المقطعي، تساعد بشكل مباشر في رفع مهارات فن الأداء الصوتي السليم، من خلال إبراز هذا التناغم في القراءات القرآنية. ونجد من ذلك أن الخليل قد وفق في هذا الجانب من الدراسة.

المبحث الثاني: علم العروض والموسيقى عند الخليل:

العروض هو العلم الذي نعرض عليه الشعر العربي لمعرفة الصحيح الموزون من المختل المكسور، وما يعتريه من الزحافات والعلل ليتعرف الشاعر الناشئ على ما يجوز له وما لا يجوز وإن هدته سليقته إلى تلك العلاقة المتوازنة بين المقاطع العروضية والإيقاع الموسيقي المرافق لها والأوزان هي الأوعية التي تستوعب المفردات وتصب فيها المعاني ولكن الإبداع يكمن في الصياغة والاختراع، لذلك فالشعر ليس هو الكلام الموزون المقفى والذي له معنى فحسب بل هو العقل والإبداع والحياة والموقف وكل قوى الصياغة والاختراع والتأثير.

والخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي هو مخترع علم العروض ومبتكرا له فقد حصر كل أشعار العرب في بحوره ووضع أصناف النغم[1] كما أنه حصر أقسام العروض في خمسة دوائر واستخرج منها خمسة عشر بحرا وزاد فيها تلميذه الأخفش بحرا سماه "الخبب"[2] ولكن ليس من المعقول أن يغيب المتدارك عن ذهن الخليل وهو مقلوب المتقارب تماما ومن دائرة واحدة وهي دائرة المتفق[3] فإن غاب الاسم عن الخليل فلم يغب الوزن بداهة ومنطقا وإن نسب اكتشاف المتدارك للأخفش سعيد بن مسعدة فلا ضير في ذلك الأمر ما دام المبتكر الأول لعلم العروض هو الخليل، ويبقى الباب مفتوحا لأرباب المواهب والمبدعين على توليد واختراع أوزان وتشكيلات جديدة.

ولو لم يكن للخليل أذن موسيقية مرهفة وسعة إطلاع في الموسيقى لما توصل إلى استنباط هذا العلم وإحصاء بحور الشعر العربي وضبط قواعده وأصوله والعلاقة الحميمة بين العروض والفنون الموسيقية.

وبما أن الخليل أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب وإن معرفته بالإيقاع وبناء الألحان المنشدة والمغناة على مواقع الكلام هي التي أحدثت له هذا العلم الذي اشتهر به[4] فلا بد أنه نجد في كتاب العين إشارات تدل على هذا العلم والتي هي:

– العروض: عروض الشعر لأن الشعر يعرض عليه[5].

---

[1] – فخري النجار: الخليل بن أحمد الفراهيدي آراء وانجازات لغوية، ص19.

[2] – فاضل عواد الجنابي: المنقذ في علم العروض والقافية، ص67.

[3] – دائرة المتفق: هي التي اتفقت أجزائها الخمسة المكررة.

[4] – ياقوت الحمري: معجم الأدباء، ج11، ص79.

[5] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، ص34.

– الإكتفاء في الشعر بمعنيين:

– أحدهما قلب القوافي على الجر والرفع والنصب مثل الإقواء قافية جر وأخرى نصب وثالثة رفع.

والآخر يقابل الاختلاط في القوافي: قافية تبنى على الراء ثم تجيء بقافية على النون ثم تجيء بقافية على اللام مثل:

أعدت من ميمونة الرمح الذكر بحريه كف الشيخ قد بدل[1]

– وفي شرحه لكلمة المضمن قال:

كان لم يكن منها مقيلا ولم يعش بها ساكنا او ضمنته المقابر

والمضمن من الشعر: ما لم يتم معنى قوافيه إلا في الذي قبله أو بعده كقوله:

يا ذا الذي في الحب يلحى أما

والله لو عُلقت منه كما

علقت من حب رخيم لم[2]

كما يستخدم مصطلحات عروضية مثل: صدر البيت وعجزه حيث يقول الراعي:

حمدت مزاره ولقين منه عُطاء لم يكن عدة ضمارا

وفي ختام هذا المبحث نلاحظ أن دراسة الخليل للمصطلحات النحوية والتراكيب اللغوية، إضافة إلى آرائه النحوية في الأسماء والأفعال يشير بأن الخليل قد وفق في دراسته للمستوى التركيبي وهو مستوى من مستويات التحليل اللساني الحديث، وفرع من فروع علم اللسانيات.

[1] – الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج4، ص38.

[2] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 29.

المبحث الثالث: الأبعاد اللسانية لنظرية التقليب الخليلية.

كان السماع عن العرب ومشافهتهم والرواية عنهم أوّل مراحل جمع اللغة، بارتحال علماء اللغة ورواتها إلى البادية والإقامة فيها، ودوّن هؤلاء اللغويون ما جمعوه في قراطيس أو كتيّبات أطلق عليها الرسائل اللغوية، ككتب خلق الإنسان والخيل والإبل والحيّات والنّبات والشّجر والنّخل والزّرع والأضواء والأزمنة والأيّام والليالي وأسماء السحاب والرّياح والأمطار والمياه...

وجيد أن الخليل قد أدرك أن هذه الرسائل لم تبلغ الغاية في جمع اللغة، وأنّها لا تخلو من نقص في استقراء كلام العرب، وأنّها لم تتسع حتى تحيط بكلام العرب ومفردات لغتهم وتكاد تقتصر على غريب اللغة ولا أدلّ على ذلك من قول أبي عمرو بن العلاء أستاذ الخليل بن أحمد: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه"، فضلا على أنّ ما تضمنته هذه الرسائل من ثروة كان مبعثرا ومفرّقا وموزّعا بين موضوعاتها، بحيث لا يسهل العثور على ما تحويه من مفردات وما تنطوي عليه من معان في سياقات استعمالها، وإذا أضفت إلى ذلك ما تنطوي عليه نفس الخليل بن أحمد وعقله من نوازع إلى الكمال والإبداع، فلن تكون هذه الحال للغة موضع نصا أو تسليم منه، بل كان حافزا له كي يتولى جمع هذا الشتات من كلام العرب المدوّن وغير المدوّن في كتاب يجمع بين دفتيه ما تفرّق من هذا الكلام على صفحات الرسائل، ويستوعب مفردات العربية وشروحها استيعابًا منظما يخلو من الإسقاط والإهمال والتكرار، فقد كانت غاية الخليل بن أحمد ومقاصده فيما أخذ به نفسه فيما بعد في معجم "العين" قد وضع نصب عينيه تحقيق فكرتين:

الأولى: معالجة جميع مفردات اللغة أو بعبارة أدق جميع موادها وشرحها.

والثانية: وضع ذلك في نظام يؤمن معه التكرار أو فوات بعض المواد[1].

ولن تتردد في القول بأن الخليل بن أحمد اهتدى بإلهام من الله عزّ وجل إلى تصميم ما يمكن أن نسميه نظرية معجمية تمكنه من خلال الالتزام بها أن يضع معجما مختلفا في نظامه وترتيبه واستيعابه عن الرسائل السالفة الذكر، ولا نستبعد أن يكون من مقاصد الخليل بن أحمد إقامة نسق معجمي لمفردات العربية موازي لأنظمة العربية الصوتية والنحوية والصرفية التي أقيمت قوانينها على ما استقرئ سماعا من كلام العرب، بحيث يكون لهذا التصور المعجمي نصيب فعال ومشاركة منهجية مع الأنظمة السالفة في

[1] – عبد الكريم مجاهد: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، دار الثقافة، عمان، ط1، 2010م، ص 249.

الانتقال بالمفردات من طور الصور الصوتية الصامتة المركبة من حروف المعجم شكلا إلى دور الوحدات اللغوية الدالة ذاتيا وظيفيا باستعمالاتها المتنوعة وتوزيعاتها في سياقات لغوية نثرية وشعرية.

وكذلك لا بد من الإشارة إلى وسيلة أخرى استعملها المعجميون لضبط النطق غير ما سبق ذكره، وهي التنبيه على أنه من باب كذا أو ككذا أو مثل كذا، أو على وزن كذا من الأفعال والأسماء المعروفة الوزن وللضبط، وقد جاء مثل ذلك في القاموس المحيط نحو: "شعر به كنصر وكرم"[1] وفي تاج العروس الشيء نفسه حيث جاء فيه: "شعر به كنصر أو كرم..."[2].

وأما المصباح المنير فنهجه أقرب إلى تاج العروس إذ الفرق بينهما يبدو في عدم عناية المصباح بضبط المداخل بالحركات بعكس التاج، والخلاصة التي يمكن أن نسجلها هي أن المعاجم العربية قد استعانت بعدة وسائل لضبط نطق المداخل ومشتقاتها وكانت الوسائل كالتالي[3]:

1. الوسيلة الغالبة هي وضع الحركات، أي ضبط الكلمات بالشكل التام دون الاستعانة بأية وسيلة أخرى، فقد استخدمتها عشرة معاجم بين قديم وحديث من أصل عشرين معجما اتخذت لإقامة هذه الدراسة عليها.

2. من المعاجم ما أضاف إليها وسيلة أخرى وهي النص وعلى نوع الحركة وذلك بعد الضبط بالشكل وهي سبعة معاجم: الجمهرة والصحاح، والمصباح، والقاموس وتاج العروس، وأقرب الموارد واللسان.

3. ومن المعاجم ما أضاف إلى ما سبق وسيلة أخرى وهي الإشارة إلى أن الكلمة من باب كذا أو على كذا أو مثل كذا، من الصيغ المعروفة الوزن والضبط سماعا، طبعًا إضافة إلى الوسيلتين السابقتين، أي أنها لجأت للوسائل المعروفة في العربية كلها، وقد ورد ذلك في المعاجم نفسها عدا الجمهرة والصحاح، والمعاجم التي استخدمت الوسيلة الثانية هي: المصباح المنير والقاموس المحيط وتاج العروس.

---

[1] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، دت، مادة (شعر).

[2] – الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، مادة (شعر).

[3] – عبد الكريم مجاهد: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ص 659.

خاتمـــة

إن تتبع تراث العرب اللغوي في كثير من محطاته المختلفة والمتنوعة، ومعايشتها لاستنطاق نصوصها ليس بالأمر الهين، وهذا يتطلب قراءة واعية لهذا الموروث، فضلا على فهم أحدث ما كتب وقذفت به المطابع الغربية من ثمرات في علم اللسان، ثم النفاذ إلى أعماق تراثنا العربي اللغوي لاستنطاقه بعين الحداثة، فيحدد له موقعا لائقا به في ركب الحضارة الإنسانية، خاصة في جانبها اللغوي، بل نذهب أبعد من ذلك فنقول أن العرب سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية فقد كان للعرب القدماء جهود مشكورة تنم عن فهم مبكر دقيق لطبيعة الحس اللغوي.

ومن هذا كله فإن الأمانة العلمية تدفعنا إلى أن نحل الخليل مكانه اللائق والمنزلة التي هو جدير وأهل لها بين علماء العرب الأفذاذ، ولقد كانت لدراساته مكانة خاصة وشهرة كبيرة دفعت الكثيرين بعده إلى الأخذ عنه والتأثر بآرائه، ونختم بحثنا بمجموعة من النتائج نوردها كالآتي:

1- جهود الخليل لم تقتصر على مستوى معين، بقدر ما كانت أبحاثه شاملة لمستويات لغوية عربية كثيرة ومختلفة وإذا قلنا إن دراسته انتهجت منهج علمي، فإنما سبب ذلك اعتماده على أسلوب القرآن الكريم، وصيغه وتراكيبه وقواعده.

2- الدراسة اللغوية يجب أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة، وهو صلة المبنى بالمعنى وهذه تعد من المبادئ اللسانية، فضلا عن العلل الدلالية والتي تمثل كل علة منها مبدأ من المبادئ اللسانية وإن هذه العلل المرتكزة على المعنى، فيها دليل على الإهتمام الكبير للخليل بن أحمد بالمعنى وضرورة وصوله إلى المتلقي بكل وضوح.

3- يمتلك الخليل رؤية لسانية يتكامل فيها النظر في مستويات العربية بحيث نلتمس علاقة بين مقول الخليل في المستعمل والمهمل ومقول دي سوسير في اللغة (Langue) والكلام (Parole)، ذلك أن اللغة ترمز إلى جميع صور الكلمات المخزونة في عقول جميع الأفراد، أي الجزء الاجتماعي المؤلف للغة، وأما الكلام فهو الجزء الأدائي المستخدم عند المتكلمين ويمكن أن نربط ملك بفكرة تشومسكي بأن النظام اللغوي المفترض عند الخليل يقابله (Compétence) عند تشو مسكي، والمستعمل يقابله (Performance) أي الأداء اللغوي أو الممارسة العملية بحسب ما تتيحه المعرفة المختزنة من قواعد؛ أي استعمال ما استوعبه واختزنه من عناصر المعرفة اللغوية من أصوات ومفردات وقواعد في مواقف الحياة المتنوعة.

4- معجم العين عمل علمي فريد من نوعه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لأنه أول معجم شامل للألفاظ في العربية، ولأن الأسس الرئيسية التي قام بها جديدة ومبتكرة لم يسبق إليها أحد قبل الخليل، انطلاقا من ترتيب الحروف على أساس مخارجها، وتقسيمه الألفاظ العربية إلى أربعة أقسام بناء على حروفها الأصلية، ثم حصره ألفاظ اللغة عن طريق تقليب الأبنية، والخليل صاحب الترتيب الصوتي الحروف العربية، وهو صاحب نظام الأبنية وطريقة التقليبات.

5- استخدامه لطرق الشرح الأساسية وبعض طرق الشرح المساعدة بشكل يتطابق مع ما هو متبع في المعاجم الحديثة، ووضع لمعجمه مقدمة يبين فيها منهجه وبعض القواعد، وهدفه من تأليف العين وطريقته في ترتيب ألفاظه.

6- لم يقتصر المعجم على دراسة المفردات فقط ، بل اهتم باللهجات.

7- شغل الخليل بالدخيل والمعرب، وميز بين لهجات القبائل وتطرق إلى ظواهر صوتية وصرفية فيها.

8- يمكن القول: إن الخليل كان على مذهب لغوي مخالف لمذهب غيره من اللغويين والمعجميين الذين كانوا لا يستشهدون بالحديث إلا نادرا، ولا يعولون كثيرا على الاستشهاد بالقراءات، بل حكم بعضهم على البعض بالقراءات الغير صحيحة، فالخليل كان مكثرا إلى حد ما من الشواهد القرآنية وشواهد الحديث، فهي تأتي بعد الشعر من حيث عددها.

9- توسع الخليل في شواهده الشعرية ولم يقف عند حدود المحافظين من اللغويين، فاستشهد بشعر شعراء التحفظ عليهم علماء اللغة المحافظون مثل عدي بن زيد، وأمية بن الصلت، وأبي داود الإيادي، الطرماح، الكميت الأسدي.

وفي الختام نقول: إن محاولة الإلمام بموضوع متشعب بهذا الحجم والنوع أمر صعب التحقيق، بعيد المنال، ولا أدعي أنني بلغت غايتي وظفرت مبتغاي، وإنما هو محاولة لتسليط الضوء على بعض النقاط التي هي بحاجة إلى تنقيب وتمحيص، واكتفيت بتناول ما تيسر فهمه وشرحه في هذا البحث الذي لا أدعي فيه الإبداع.

قائمة المصادر
والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.

- **المصادر القديمة:**

1. ابن الأنباري: نزهة الألباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
2. ابن جني: الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط2، 1994، ج1.
3. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1904، ج1.
4. ابن جني، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي نجلي ناصف وغيره، ج1.
5. الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب، بيروت، دط، 1990، ج4.
6. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، الطبعة السلفية، القاهرة، دت، ج10.
7. ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، مكتبة الخانجي 1992، ج1.
8. ابن خالويه، كتاب البديع (قراءة الحسن البصري وعمر بن عبيد)، مطبعة الرحمانية مصر، ط1، 1934.
9. ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، مطبعة بيروت، 1972م، ج2.
10. الزمخشري، الكشاف، عبد الرزاق المهدي، دار الإحياء، التراث العربي بيروت، دت، ج1.
11. سيبويه الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1982، ج4.
12. السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه زيني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1955.
13. السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ج1.
14. السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، دت، ج1.

15. الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1958، ط1، ج1.

16. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن الزكي، مطبعة دار الكتب القاهرة، ط3، 1967، ج10.

17. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، مطبعة البابي مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دت.

18. ابو عبيدة معمر المثني: مجاز القرآن، تج محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي القاهرة.

19. ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تح شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1.

20. ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الستويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م.

21. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دون تحقيق، مطبعة القاهرة، دت، ج11.

- **المراجع الحديثة:**

1. أحمد أمين: ظهر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط5، 1956.

2. أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، مكة المكرمة، الرياض، ط4، 1990.

3. أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979.

4. أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات، دار الفكر دمشق، بيروت، ط1، 1998.

5. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، بيروت، ط4، سنة 1980.

6. جعفر نايف عياينة: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1989.

7. حسن طاطا: كلام العرب من قضايا العربية، دار المعارف، دط، 1971م.

8. حلمي خليل: مقدمة في دراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997.

9. حمدي بخيت عمران: المفصل في المعاجم العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1.

10. رجب عبد الجواد إبراهيم: المدخل إلى تعلم العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2001.
11. رحاب عكاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2003.
12. شرف الدين الراجحي: علم اللغة عند العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دت.
13. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، طبعة دار المعارف، القاهرة، دط، 1968.
14. شوقي ضيف: المدارس النحوية، طبعة دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976.
15. صاحب أبو جناح، الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، مركز دراسات الخليج العربي، 1985.
16. صلاح زاوي: المدارس المعجميّة العربيّة، دار الثقافة العربيّة، القاهرة، ط1، 1990م.
17. الطبرسي (أمين الإسلام ابي علي الفضل)، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج3.
18. عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
19. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، 1988.
20. عبد الكريم مجاهد: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، دار الثقافة، عمان، ط1، 2010م.
21. عبد الله درويش: المعاجم العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1956م.
22. قاسم البرسيم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
23. كمال بشر: الأصوات اللغوية علم اللغة العام، مكتبة الشباب القاهرة، 1984.
24. محمد علي الرديني: المعجمات العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3، دت.
25. محمود السعران: علم اللغة، مطبعة القارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1962.
26. مهدي المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، 1986.
27. ناجح عبد الحافظ: دراسات في المعجمات العربية، طبعة القاهرة، دت.
28. نايف معروف: علم العروض التطبيقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1987.

- **المراجع المترجمة:**

1. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة مجموعة من الأساتذة، دار المعارف، القاهرة، دت.
2. ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت.

- **المعاجم والقواميس:**

1. الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دط، مقدمة المحققين، ج1.
2. ابن دريد: معجم جمهرة اللغة، د ت، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، المقدمة، ج1.
3. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، مجلد4، ج5.
4. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الباري، القاهرة، دت.
5. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، دت.
6. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، لبنان، ط2، 1990.
7. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار القومية العربية للطباعة، دط، القاهرة، 1964، ج1.
8. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

- **المجلات:**

1. يوسف العش: أولية تدوين المعاجم، مقال لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد 16، سنة 1941م، الجزء 11.

- **المراجع الأجنبية:**

1. Haywood. GA, Arabic Lexicography, London, 1960, p:8.

فـــهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء
مقدمة..... أ
مدخل: ترجمة للخليل بن أحمد الفراهيدي وجوانب شخصيته العلمية
أولا: شخصية الخليل بن أحمد وأهم مؤلفاته..... 2
أ- التعريف بالخليل..... 2
ب- علم الخليل وعمله..... 3
ج- أشهر مؤلفاته..... 3
ثانيا: الخليل بن أحمد واضع علم العروض..... 4
1- تعريفه..... 4
2- معاني العروض..... 5
3- الخليل ونشأة علم العروض..... 5
ثالثا: مكانة الخليل في النحو العربي..... 6
رابعا: الخليل رائد التأليف المعجمي عند العرب..... 8
الفصل الأول: الدرس المعجمي عند الخليل
المبحث الأول: المعجم العربي..... 12
1-1- تعريف المعجم لغة واصطلاحا..... 12
أ- لغة..... 12
ب- اصطلاحا..... 12
1-2- علماء الحديث النبوي الشريف هم أوّل من استعمل لفظة المعجم..... 13
1-3- الاشارات الأولى في نشأة المعجم عند العرب..... 13
1-4- المنظور التاريخي لنشأة المعجم العربي..... 15
1-5- عوامل نشأة المعجم عند العرب..... 15
المبحث الثاني: منهج العين..... 19
2-1- منهج الكشف عن الكلمات في معجم العين..... 19
2-2- معجم العين ومبدأ الجمع..... 20
2-3- مقدمة معجم العين..... 21
المبحث الثالث: منزلة العين في المعجمات العربية..... 23
3-1- نماذج تطبيقية من معجم العين..... 26
أ- باب الثنائي من كتاب العين..... 26

ب- باب الثلاثي من معجم العين: باب العين والكاف والدال..... 27
المبحث الرابع: الاختلاف في نسبة كتاب العين للخليل بن أحمد..... 30
معجم العين بين التأثير والتأثر..... 32

الفصل الثاني: الدرس الصوتي والموسيقي عند الخليل

المبحث الأول: علم الأصوات عند الخليل..... 39
1.1. المخارج النطقية للأصوات اللغوية..... 40
2.1. صفات الأصوات عند القدماء..... 50
3.1. القراءات القرآنية في معجم العين (سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف)..... 55
المبحث الثاني: علم العروض والموسيقى عند الخليل..... 63
المبحث الثالث: الأبعاد اللسانية لنظرية التقليب الخليلية..... 65
خاتمة..... 68
قائمة المصادر والمراجع..... 71
فهرس الموضوعات..... 76